الحتمية
فى
النصوص القرآنية

دكتورة

نادرة حسن عبد الجواد محمود

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

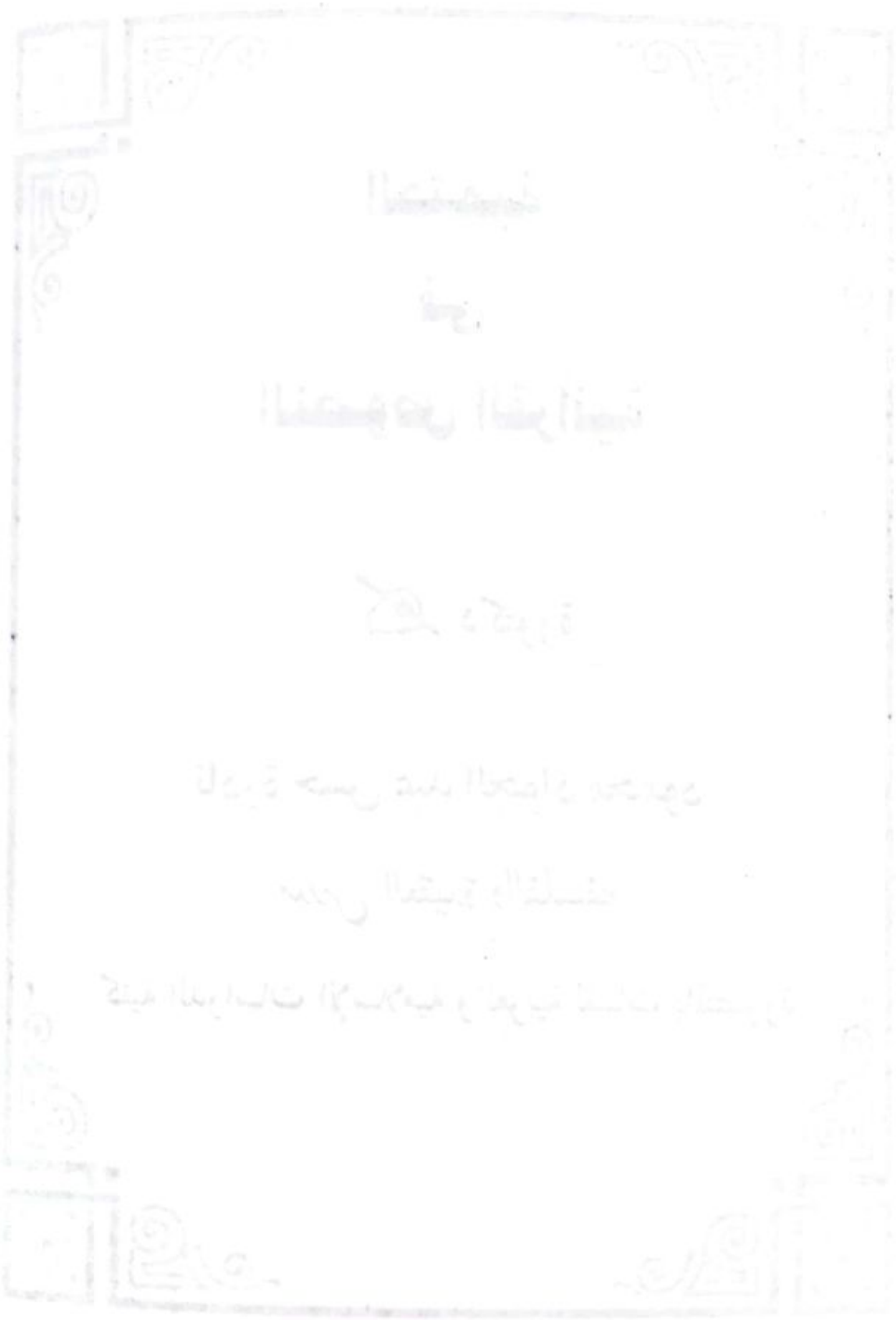

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله خلق الكائنات بقدرته ، ونظمها بعلمه وحكمته ، وأحاطها بإرادته وعنايته ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، بين أن خلقه محكم ، وأن الحتمية فيه قائمة طبقاً لسنن الله الكونية .

قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ ﴾ (١) .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، أنزل عليه ربه مايفيد ارتباط الأسباب بالمسببات على الناحية العملية ، من خلال سنن الله الكونية ، قال تعالى :﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۝٦٢ ﴾ (٢) .

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، والسراج المنير، وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن التعرف على سنن الله الكونية ، أمر تفرضه نصوص الشريعة الإلهية ، من باب الاستدلال على الخالق جل علاه بنظام خلقه ، وهو أمر أحكمته الدراسات العقدية من النواحى المختلفة .

بيد أن سنن الله تعالى لما كانت متنوعة ، فقد اخترت أن يكون موضوع هذه الدراسة هو : (الحتمية فى النصوص الشرعية) . وقد أردت بيان أن القرآن الكريم يمكن أن يستفيد منه الباحثون فى المجالات العلمية

---

(١) سورة الرعد : الآية ٨ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٦٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المختلفة ، على العديد من النواحى ، أبرزها مايتعلق بالحكمة الإلهية ، والقدرة الربانية ، والإرادة الكاملة ، ومن ثم فقد تناولت كل من هذه السنن فى مباحث ، عنونت لها طبقا لموضوعاتها على النحو الآتى :

الفصل الأول : مفهوم الحتمية وموضوعها وطبيعتها .

الفصل الثانـــى : مظاهر الحتمية الشرعية فى الليل والنهار .

الفصل الثالـــث : مظاهر حتمية الشمس والقمر .

الفصل الرابـــع : مظاهر الحتمية المائية .

الفصل الخامس : مظاهر الحتمية النباتية .

الفصل السادس : مظاهر حتمية المبدأ والمنتهى .

وهذا التنوع فى الموضوعات ، دفعنى إلى اصطناع أكثر من منهج علمى ، بحيث يؤدى كل منها دوره على النحو المنوط به .

ولا يغيب عن دارس أن النتائج التى توصلت إليها ، إنما هى مما أمكننى الوقوف عليه ، من خلال آيات القـــرآن ، وما ذهب إليه مفكرو الإسلام .

والله يهدى إلى سواء السبيل .

د / نادرة حسن عبد الجواد محمود

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول

مفهوم الحتمية وموضوعها وطبيعتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مفهوم الحتمية وموضوعها وطبيعتها

تعتبر الحتمية من المسائل ذات الوجود الدلالى فى الفكر الإسلامى، باعتبار ارتباط الأسباب بالمسببات من ناحية ، وباعتبار ماقضى به الله فى الكائنات ويجرى فى سننه الكونية داخل الأمور المشاهدة والغيبية من ناحية أخرى.

كما أن فكرة الحتمية طرحت نفسها داخل إطار الفكر الإنسانى ، من ناحية المنظومة الفلسفية تارة ، والفيزيائية تارة أخرى ، بل إنها ظهرت فى الجوانب الأخلاقية والاجتماعية ، بجانب العلوم العقلية ، وبخاصة ذات الصلة الوثيقة بالواقع العملى .

ومن ثم كانت بحاجة لدراسة موضوعية ، مهمتها إظهار الحتمية كفكرة إنسانية ، وما يتعلق بها من الناحية العقدية داخل النصوص الشرعية. وذلك يستلزم تحديد المفاهيم والمصطلحات أولاً . وسيكون ذلك على النحو التالى :

أولاً : مفهوم الحتمية :

وردت مادة الكلمة – ح ت م – فى القرآن الكريم بلفظها مرة واحدة فقط، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[١].

قال الإمام الفخر الرازى : " أى واجبا مفروغا منه بحكم الوعيد " [٢] . وتنفيذه أمر واقع حتما ، لأنه مما جرى به قضاء الله . [٣] وعلى هذا يكون المعنى

---

(١) سورة مريم : الآية ٧١ .

(٢) الإمام الفخر الرازى : مفاتيح الغيب ، المجلد العاشر ج (٢٠) ص ٤٩٦ (طبعة دار الغد العربى) القاهرة ١٩٩٣ م .

(٣) راجع المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – لجنة القرآن والسنة ص ٤٥١ (ط (١٠) القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ن ذلك الورود قضاء لازم لايمكن خُلفه . [١] ثم أنهم اختلفوا فى معنى الورود [٢] هل هو الدخول فيها ؛ أم المرور عليها . إلا أن الورود أمر صار حتمياً وقضاءً لازماً لا يتركه لأنه مما جرى به حكم الله تعالى فى قضائه ، وورد ذكره فى كتابه.

هذا وسوف أتناول معنى الكلمة فى لغة العرب ، والاصطلاحات التى تعنى به أيضا، وسأبدأ بالمعنى اللغوى، لأنه الصورة والمفهوم الحقيقى للكلمة.

معنى الحتمية فى اللغة والاصطلاح :

ا - **فى اللغة** : وردت مادة الكلمة (ح ت م) في لغة العرب على أنحاء عديدة منها :

١ - **القضاء المحُكم** : تقول العرب هذا الأمر (حتم مقضى) [٣] أى حكم لا رجعة فيه ، ولا يقبل الخروج عليه ، فيكون حكما قُضىَ به ، أو قضاء حكم به على جهة الإتقان . ومن أشعار العرب فى هذا المعنى :

عبادك يُخطِـئُونَ وأنْتَ رَبٌ ∴ بِكَفَّيكَ المنَايَا والْحُتُـــــــومُ [٤]

٢ - **اليقين المطلق** : تقول العرب فى كلامهم : " هذا حتم مقضى ، وحكم مرضى "[٥] وهذا مما يتعلق بأقضية الله سبحانه وتعالى عند المؤمن بها.

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى - صفوة التفاسير ج (٢) ص ٢٠٥ - دار الصابونى ج(١) سنة ١٩٩٧ م .

(٢) راجع فى هذا المعنى الإمام البيضاوى ج (٢) ص ١٩ .

(٣) الإمام الزمخشرى . أساس البلاغة ص ١١٢ - دار الفكر - بيروت لبنـــان - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

(٤) العلامة ابن منظور . لسان العرب : ص ٧٧١ .

(٥) الإمام الزمخشرى . أساس البلاغة ، ص ١١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعندما تقول حتم الله الأمر ، يكون المعنى قضاه على سبيل الاستيقان ، بأن ماحتم الله كائن ، ومن وقف على هذا المعنى حصل له اليقين المطلق .

٣ - **مايقع فى القضاء حكماً** : ومن ذلك قولهم : " حتم عليه " بمعنى حكم ، والحاتم الذى يقضى الشىء ، وهو كالحكم ، ويقصد به كل علاقة شرطية بين دعوى وحكم ، وتتمثل فى القضاء الذى لا يقبل النقض ، ومن ذلك : قولهم :

ولقـــد غـــدوتُ وكنـــتُ لا ∴ أغدو على وَلَقٍ وحاتم [١]

وعليه فكل مايقع فى نطاق الحكم الذى تصدره دائرة قضائية لا يملك أحد نقضه ، يدخل فى هذا الباب ، ويكون أمراً حتمياً .

٤ - **الوجوب اللازم** : [٢] ويعنون به ما يقع على سبيل الفرض ، بحيث لايمكن التخلى عنه ، فيقولون : " انحتم " الأمر و " تحتم " [٣] بمعنى وجب وجوباً لازماً لايمكن إسقاطه ، ولا يستطيع أحد الانفكاك منه .

٥ - **مافضل أو تخلف**: تقول العرب "حتم" فلان حُتامة، و" الحُتامة " ما يبقى على المائدة من الطعام ، أو ماسقط منه إذا أكل، وتحتم أكلها.[٤] بحيث

---

(١) العلامة أبو الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ معجم مقاييس اللغة — ج (٢) ص ١٣٥ - تحقيق وضبط د / عبد السلام هارون - دار الجيل ط(١) ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

(٢) قصدت بذلك التفرقة بين مايكون وجوبه كفائيا ويسمى الواجب الكفائى ، وبين مـايكون وجوبه لازماً ويسمى الواجب اللازم أو الضرورى .

(٣) العلامة أحمد بن محمد المقرى المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى - (ت ٧٧٠) . ج (١) ص ١٢٠ .

(٤) الأستاذ / الطاهر أحمد الزاوى . ترتيب القـاموس المحـيط - ج (١) ص ٥٨٧ - دار الفكر - الطبعة الثالثة .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

يكون هذا الفاضل لايمكن تجاهل وجوده ، كأنه فرض نفسه على غيره. ومن ثم فما يبقى على شيئ ما ، أو يسقط منه ولا حيلة فيه فإنه يكون أمراً حتمياً .

٦ - **العلاقة الربطية** : يقولون هذا " أخ حتم " [١] ومعناه أن العلاقة الرابطة بينهما هى النسب نظراً لكونهما من أصل واحد جاءا ، أو فى رحم واحد حُملا .

وتقول العرب فى ذلك المعنى : أنت لى بمنزلة الولد الحتم ويقصد به الولد الصلب المحض ، فهو الولد الحق المحتوم ، الذى لا يُشك فى صحة نسبه [٢] ومنه قول الشاعر :

فَواللّهِ لاَ أنْساكَ ماعِشْتُ لَيْلَةً ∴ صَفِيَّ مِنَ الإخْوانِ وَالْوَلَدِ الْحَتْمِ [٣]

وبالتالى فكل مابين طرفين من علاقة ترابطية ، إنما يتم على سبيل الحتم وإذا وقع انفصال بينهما، كان أمرا عارضا، داخلا فى نطاق الاستثناءات.

ومن ثم تبين أن دلالة مادة الكلمة - ح ت م - فى اللغة يمكن أن تقدم جملة من المعطيات التى تتعلق بالحتمية الدينية ، كالحال فى المعنى الأول ، لأن القضاء المحكم فعلُ من أفعال الله تعالى ، والإيمان به جزء من أجزاء العقيدة الدينية ، والعقيدة الإيمانية .

كما أن المعنى الثانى يدخل فى دائرة الحتمية الغيبية ، لقيامه على يقين مطلق ، عماده الفطرة القلبية السليمة ، والمعرفة العقلية الواعية ، فإذا تلاقى الطرفان ، عبرا عن حتمية لا تنفك ، لكن صورتها دينية .

---

(١) المعجم الوجيز مادة (حتم) ص ١٣٤ - طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

(٢) الإمام الزمخشرى . أساس البلاغة ص ١١٢ .

(٣) ابن منظور . لسان العرب - مادة (حتم) ص ٧٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك نجد المعنى الثالث ، يعبر عن الحتمية الدينية فى مقدماتها النقلية، ونتائجها الإطرادية ، ممثلة علاقة إيجابية بين العبد وربه من الناحية التبادلية .

فى حين يتعلق المعنى الرابع بالحتمية الفيزيائية على أساس أنها تتعامل بالفروض لا يمكن لها أن تنفك عنها . بينما المعنى الخامس يتعلق بالحتمية التجريبية ، من خلال فكرة الاستقراء ، كما يتعلق بالحتمية الأصولية من خلال دليل [١] السبر والتقسيم ، وهو " حصر الأوصاف فى الأصل المقيس عليه وإبطال مالا يصلح بدليل ، فيتعين أن يكون الباقى علة " . [٢] لأنه فيما فضل يمثل طريقة البواقى ، وفيما تخلف يمثل طريقة الإسقاط ، وكل منهما حتمية استقرائية ، وأصولية أيضا . وقد أشار إليه القرآن الكريم فى قوله جل شأنه : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٣] فإن هذا تقسيم حاصر لأنه ممتنع خلقهم من غير خالق خلقهم ، وكونهم يخلقون أنفسهم أشد امتناعا ، فعلم أن لهم خالقا خلقهم ، وهو سبحانه . [٤]

---

(١) وقد وصفه الإمام الغزالى بأنه دليل صحيح ، وذلك بأن يقول هذا الحكم معلل ولا علة له إلا كذا أو كذا وقد يطل أحدهما فتعين الآخر . راجع للإمام الغزالى المستصفى فى علم الأصول المجلد الثانى ص ٢٩٥ – ٢٩٦ ومعه كتاب فواتح الرحموت للأنصارى (طبعة أولى المطبعة الأميرية – مصر ١٣٢٤ هـ) .

(٢) العلامة الشيخ محمد بن أحمد الفتوحى المعروف بابن النجار (ت ٩٧٢ هـ) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير –ص ١٤٢ المجلد الرابع – تحقيق د / محمد الزحيلى – د / نزيد حماد – مكتبة العبيكان الرياض – طبعة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م . وكذا نهاية السول فى دراية الأصول – العلامة صفى الدين محمد الأرموى ج (٨) ص ٣٣٦١ .

(٣) سورة الطور : الآية ٣٥.

(٤) العلامة بدر الدين الزركشى (٧٤٥ – ٧٩٤ هـ) – البحر المحيط الجزء الخامس ص ٢٢٢ قام بتحريره د / عبد الستار أبو غدة – راجعه الشيخ عبد القادر عبد الله العانى . وهو غير البحر المحيط فى التفسير للعلامة أبى حيان

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

كما أن المعنى السادس تظهر فيه الحتمية الرياضية القائمة على العلاقات الترابطية ، ولو من الناحية الصورية ، وأعنى بها ظهور النتائج من مقدماتها الصحيحة المسلمة .

ب - **فى الاصطلاح** : لما كان الاصطلاح يمثل العلاقة الوطيدة بين الألفاظ المستعملة فى فن من الفنون ، أو علم من العلوم ، بما هو قائم فى عقول أصحاب هذا الفن أو ذاك العلم ، فقد صارت الاصطلاحات الخاصة بمثابة المفاتيح التى تستعمل فى فهم هذه العلوم . ونظراً لكون الحتمية تتنوع ، فإن تقديم تعريف اصطلاحى لها لا يكون مفيداً إلا إذا ارتبط كل تعريف بنوعه ، لكون التعريف بالذاتيات أولى من العرضيات . والذاتيات فى المعانى الفكرية ، تؤخذ - غالبا - من موضوعاتها أو فوائدها وغاياتها .

وبناء عليه فإن تعريف الحتمية هنا سيكون من خلال الآيات القرآنية التى جاء فيها لفظ الحتم صريحاً كقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [١] . فالمرور على ظهر جهنم أمر مفروض من قبل الله تعالى ، حتما على العباد ، سواء من تمكن بفضل الله فاجتاز ، ومن بالأعمال السيئة سقط ، وسيكون هذا المرور فوق الصراط لقوله ﷺ : "يضرب الصراط على ظهر جهنم ، فأكون أنا وأمتى أول من يجوز " . أو التى جاء فيها اللفظ من خلال الإشارة الدلالية ، كالحال مع قوله جل شأنه : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [٢] .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

---

(١) سورة مريم : آية ٧١ .
(٢) سورة يونس : الآية ٦٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [١] . إذ أن هذا النفى قاض على وجود فكرة الاحتمالات ، مؤكد طبيعة الحتمية ، من خلال المفهوم الوارد فى النصوص الشرعية ، ومن هنا يمكن تعريف الحتمية الدينية بأنها :

" ارتباط أفعال الله ، وأوامره ، وأحكامه بالناشىء عنها والمترتب عليها ارتباطاً لا يمكن فصل عراه الموثقة أو تباعد الشقة بين طرفيه لأنه محكم من عند الله ، مقضى به من لدنه جل علاه " . [٢]

وعليه فالحتمية الدينية (الشرعية) هى التى وردت بها نصوص الشريعة الإسلامية ، واقعة فى السنن الكونية ، وما تجرى به الأسباب العادية ، مثل حركة الليل والنهار ، وجريان الشمس والقمر وما كان من هذا القبيل ، فى دار الدنيا ، وما يتعلق بالغيبيات فى الدار الآخرى . من هنا أود الالتفات إلى أن الحتمية التى سأقوم بدراستها هنا ، إنما هى الحتمية الدينية التى تجرى بها السنن الإلهية .

---

(١) سورة الروم : الآية ٣٠ .

(٢) هذا الذى يتعلق بالحتمية هنا من خلال الفهم للنصوص ، بعيداً عن التعرض للقضايا الفكرية على الناحية الكلامية ، كالحال مع القضاء والقدر ، أو الأفعال الإلهية والإنسانية إذا موضوع هذه الدراسة واقف على ماتدلى به النصوص الشرعية مباشرة فى مجال عرض الحتمية من الناحية الدينية .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ثانياً : موضوع الحتمية بوجه عام :

موضوع الحتمية بوجه عام هو : ما يجيء فى سنن الله الكونية ، وتقضى به أوامره وأحكامه ، ويتم من خلال أفعاله [١] وما يتعلق بموقف العبد منها فى دار الدنيا ، وعلى ما يفهم المرء العاقل من تلك النصوص ، مع فتح باب الاستثناء فى تلك القواعد الحتمية . هذا على اعتبار أن هذه السنن الإلهية تجيء فيها الحتمية عادية ، بالنسبة لأفعال الله سبحانه وتعالى فيمكن تخلفها متى أراد الله ذلك ، وليست عقلية

ومن نافلة القول ، أن موضوع الحتمية الدينية ، سأعرض لبيانه أثناء تناول كل نوع من الحتمية بوجه عام ، حتى يكون النوع ، والموضوع فى سلة واحدة ، وتكون المظاهر التطبيقية هى المعيار القائم من خلال النصوص الدينية ، لأن هذا المعيار هو الذى أمضى الشوط معه .

وأود الإلماح إلى أن لفظ الحتمية ، قد يرد على وجوه ثلاثة بالمعنى العام ، منها وجهان غير مقبولين ووجه هو الذى أعول عليه .

** أما الوجهان غير المقبولين فهما :

١ - حتمية فيض العالم ، أو صدوره ، عن العلة التامة (الله) : لأن معناه نفى الإرادة الحرة ، والاختيار الكامل ، عن الله سبحانه وتعالى، وإسقاط العلم والقصد ، الكامن فى طبيعة الإرادة ، وإحلال الجبر والإكراه والعشوائية ، أو المصادفة محلها ، وهذا مما يستحيل وصف الله تعالى به .

---

(١) وقد توسع الإمام الغزالى فى عرض ما يتعلق بالأفعال الإلهية فى مؤلفاته العديدة ، ثم لخص هذه الجوانب فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد القطب الثالث - راجع الاقتصاد فى الاعتقاد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأنه جل شانه على هذا الوجه من الحتمية يكون كضوء الشمعة ، أو نورها الذى صدر منها أو فاض عنها ، ولا تملك تلك الشمعة حجب ضوئها أو إمساك نورها، فهو فيض أو صدور حتمى .

ولذا كان كفر القائلين بالفيض ، والصدور ، لأنهم جعلوا الله مكرهاً مجبراً لا مريدًا ، فاعلاً بالفيض أو الصدور لا بكن فيكون .

٢ - حتمية قيام الأسباب على المسببات من الناحية العقلية :

فهذا الوجه ينتهى إلى أن الأسباب ، هى الفاعلة لمسبباتها ، على سبيل الحتم ، وليس علم الله وإرادته وقدرته ، فتحولت الأسباب إلى فاعلة لا علاقة لها بالإله ، ومن هنا وقع الفساد ونشأ عنه الكفر والإلحاد ، نظراً لعدم احتياجهم إلى الخالق العظيم جل علاه . كالحال مع البراجماتية والديانات الوضعية ، فالأسباب هى الفاعلة الثابتة ، وهذه حتمية علمية عقلية ، سببية ، وكلها غير مقبولة شرعاً .

** **أما الوجه المقبول هنا فهو :** ما يتعلق بأمر الحتمية الدينية القائمة فى ضرورة انصياع المخلوقات للخالق على أساس أن أحكامه ثابتة، وسننه مطردة ، ورحماته سابغة [١] ظاهرة وباطنة . ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ ﴾ [٢] وموضع الاستشهاد أن الحتم المفروض ، قد تم على وجه دقيق فى سرعة استجابة السموات والارض

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝ ﴾ سورة لقمان : الآية ٢٠ .

(٢) سورة فصلت : الآية ١١ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

(١) لمراد الله منهما ، وكذا رضى كل واحد منهما بنصيبه من الأمر.(٢) قال العلامة الزمخشرى : " أن الله تعالى أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ، وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع ، إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع " . (٣)

وفى هذا تصوير لأثر قدرته ، وشمول إرادته ، وحرية تصرفه فى الممكنات وفق علمه ، ومراده منها ، كما أن فى " نزول السماء على أمر الله ، طوعا لا كرها إشارة إلى تمام نفوذ سنن الله فيهما " . (٤) وذلك لأن الطاعة دائما هى شأن تمام الأمر ، والرضى به .

ومن ثم أخلص إلى أن موضوع هذه الحتمية قد جاءت مظاهره على الوجه المشروع ، طبقا لما هو قائم فى قضاء الله ، نافذ بقدرته ، مرتبط بسننه الإلهية متنوع فى الفلكيات والنبات والإنسان والحيوان وغيرها .

---

(١) الأرض اسم جنس يشمل عدد الأرضين المشار إليه فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ سورة الطلاق : الآية ١٢ .

(٢) د . محمد أحمد الغمراوى — الإسلام فى عصر العلم ص ٢٢٦ وما بعدها إعداد د / أحمد عبد السلام الكردانى الطبعة مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

(٣) الكشاف للزمخشرى ج ٤ ص ١٤٨ .

(٤) د / محمد أحمد الغمراوى - الإسلام فى عصر العلم ص ٣٢٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثاً : طبيعة الحتمية الشرعية :

تأتى طبيعة هذه الحتمية ، على أمرين ، فهى إما اطرادية ، أو ترتيبية وتفصيل ذلك كالآتى :

الأمر الأول : الاطرادية : (١)

وهى التى تكون من جهة الله تعالى اطرادية على سبيل الاستمرار والتتابع ، لأن سنة الله تعالى ثابتة ، فى أوضاعها التى لا تتغير ، وكل مايجىء من عند الله فهو على هذا الاتجاه . لقوله تعالى : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ (٢) .

والمعنى : " لن تتغير ولن تتبدل سنته تعالى فى خلقه " (٣) ولا يستطيع أحد أن يحولها على نحو غير ما أراده الله لها ، بل يمكن القول بأن هذا الاطراد فى السنن الإلهية من مظاهر الحكمة والقصد ، ويؤكد انتفاء العشوائية وسقوط فكرة المصادفة عن أفعال الله تعالى .

ويستدل على ذلك بما نراه فى العالم المشاهد ، فالشمس مازالت تشرق من مشرقها، وتغرب فى مغربها، والليل والنهار مازالا يتوالجان (٤) ويتكوران (٥)، فإذا

---

(١) يأتى الاطراد فى اللغة على معنى التتابع والتسلسل - راجع المعجم الوجيز مادة (ط - ر - د) ص ٣٨٨ . وفى الاصطلاح هو : ما يوجب الحكم لطة وهو اللازم فى الثبوت - راجع التعريفات للجرجانى باب الطاء ص ١٢٣ .

(٢) سورة فاطر : الآية ٤٣ .

(٣) د / محمد على الصابونى صفوة التفاسير ج ٣ ص ٥٣٢ .

(٤) قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ سورة الحج : الآية ٦١ .

(٥) قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الزمر : الآية ٥ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

كان التوالج يمثل زيادة فى أحدهما ونقصانا فى الآخر، نظراً لارتباط ذلك بالفصول، فإن هذا الأمر يطرد فى العالم المشاهد، وكذلك الحال فى التكوير.

وإذا كان التوالج يمثل عملية قائمة فى صور الامتداد من الطول أو القصر، فإن التكوير يمثل حالاً قائماً، لا يختلف بالطول ولا بالقصر، وذلك لأن هذه السنن الإلهية بمثابة القواعد الكائنة والباقية والمستمرة بضمان إلهى، وكأنها تقرر أن للخلق الإلهى سنة لا تتغير ولا تتبدل. وفى ذلك دليل حسى واضح، على أنها من خلق الله تعالى وحده، حيث لا تبديل لخلق الله. (١)

وكذلك الحال فيما يتعلق بعالمى الحيوان والنبات، إذ كل منهما تظهر فيه عملية الاطراد القائمة بين الأصول والفروع من غير منازعة، وما ذهب إليه التطوريون والارتقائيون(٢) مجرد أحلام خادعة، خالفت النواميس الثابتة، ومع هذا فإن ماذهب إليه هؤلاء وأولئك، لم يقم دليل صحيح عليه حتى يومنا هذا.

ونلتمس صور هذه الحتمية الاطرادية فى كل فعل يفيد الاستمرار مثل (خلق) ومشتقاته، كقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (٣) قال جل شأنه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾(٤).

---

(١) قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ سورة الروم: آية ٣٠.

(٢) فكرة النشوء التطور والارتقاء: تمثل نوعا من الاعتقاد العلمى بأن الكائنات الحية قد تطورت وارتقت، من أنواع بسيطة إلى أنواع معقدة يعتبر الإنسان ذروتها. لكنها أفكار غير صحيحة من الناحية العلمية وغير مقبولة من الناحية الشرعية. راجع فى ذلك كتاب أصل الأنواع لدارون، وكذلك تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٣٠٠ وراجع فى مناقشتها للدكتور سليمان دنيا – التفكير الفلسفى الإسلامى وللأستاذ محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية دارون.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٢، وكذلك قوله تعالى فى سورة لقمان الآية (١١): ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ومثل الفعل : (جعل) ومشتقاته فى قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ (١) . وقوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (٢) .

وهكذا نلتمس صور الحتمية الاطرادية ، فى نصوصها الشرعية والتى يبدو فيها الانسجام واضحا ، بين إرادة الله ، واطراد القانون الذى يستمد مصدره من الله عز وجل ، وهذا يمثل الأفعال الإلهية .

الأمر الثانى : الترددية :

وهى التى تجىء من جهة العبد ، تارة فى الإيجاب ، وأخرى فى السلب وهى ترددية أيضا فى صورها ، من حيث النعيم ، أو العذاب المترتب عليها ، وبالتالى فموضوعها هو الأفعال الإنسانية ونتائجها .

ثم تبقى قائمة الفضل الإلهى ، حيث يتمثل بعفوه ، وفضله وكرمه حيث أنه جل شأنه يفعل مايشاء ، لاراد لقضائه ولا ناقض ، لأمره ، إن شاء عفا ، وإن شاء عذب ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝ ﴾ (٣) وبالتالى فموضوع الحتمية الترددية ، إنما هو الأفعال الإنسانية الاختيارية التى يسأل عنها ، ويحاسب عليها ، ويثاب بها أو يعاقب .

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٢ .

(٢) سورة فاطر : الآية ١ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٣٢ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثانى

مظاهر الحتمية الشرعية فى الليل والنهار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مظاهر الحتمية الشرعية فى الليل والنهار

تعتبر مظاهر الحتمية الشرعية مما جاءت به النصوص التى تبرز فيها سنن الله الكونية من خلال ظواهر فلكية مثل ظاهرتى الليل والنهار، وتكوير كل واحد منهما على الآخر، فى حين وتوالجهما بعضهما فى بعض حين آخر. وما يترتب على ذلك من سنن فلكية تتعلق بها حركة النور والظلمة .

وسمى هذا النوع من الحتمية (الفلكية) لأن حركة كل من هذه الصور تعد تعبيراً دقيقاً عن حركة الفلك سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية فما هو الفلك وعلاقته بالليل والنهار .

١ - **الفلك فى اللغة هو** : " جسم كرى يحيط به سطحان : ظاهرى وباطنى ، وهما متوازيان مركزهما واحد " . (١)

وكل ماشابه هذا الوصف أطلقت عليه العرب اسم فلك بناء على تصويره لكل من فلكة المغزل . يقول العلامة الفخر الرازى سميت فلكة لاستدارتها ، وفلكة الخيمة : هى الخشبة المسطحة المستديرة التى توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة ، وهى صفحة مستديرة " . (٢)

وعليه نجد الاصطلاح بأن الأجرام السماوية لها فلك أو مدار يسبح كل واحد من هذه الأجرام مع الآخر ، كما تدور فلكة المغزل ونحوه ، فكل واحد يتحرك حركة دائرية ، متوازياً مع غيره فى فلك لا يخلفه ، كأنهم مثبتون فى عمود واحد ، يربطهم جميعاً .

وسوف أعرض لهذا النوع من الحتمية فيما يلى :

---

(١) العلامة الجرجانى التعريفات - (باب الفاء) ص ١٤٧ .

(٢) الإمام الفخر الرازى مفاتيح الغيب -المجلد (١٣) ج٢٥ ص ١٢٩ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الأولى : حتمية الليل والنهار :

يبدو مظاهر الحتمية الشرعية فى العلاقة بين الليل والنهار من خلال صور متعددة أبرزها التكوير ، ومنها الولوج ، وفيها التقليب ، وسوف نتناول هذه المظاهر والعلاقات على النحو التالى :

١ - حتمية التكوير : (١)

قال تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ (٢)

يعبر تكوير الليل على النهار ، صورة من صور الحتمية ، نظراً لأن المعنى قائم فيها من خلال وضع الليل أولاً (٣) ثم النهار ثانياً ، وتأتى الصورة الثانية وهى وضع النهار أولاً ، ثم الليل ثانياً ، فتبين أن هذه الحتمية فى صورتيها إنما تثبت وجود الله تعالى وقدرته ، وتدل على كمال علمه وحكمته ، وفى نفس الوقت ، تأخذ بالعاقل حتى توقفه على مايجب عليه نحو خالقه العظيم جل علاه .

يقول الإمام الفخر الرازى : " إن اختلاف أحوال الليل والنهار هو المراد هنا ، ويستدل على مفهوم التكوير بما ورد فى الحديث الشريف من قوله (ﷺ): " نعوذ بالله من الحور بعد الكور" أى من الإدبار بعد الإقبال لأن

---

(١) مادة التكوير تعنى لف الشىء على جهة الاستدارة أو لفه على سبيل التتابع ، ومنه قول القائل كار العمامة على رأسه وكورها إذا لفها وتابع أطرافها . راجع المعجم الوجيز مادة (ك و ر) ص ٥٤٥ .

(٢) سورة الزمر : من الآية ٥ .

(٣) تقديم الليل على النهار جاءت له ظواهر نقلية منها قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة الأنبياء : الآية ٣٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان ، وفى كل يوم يغلب هذا ذاك تارة ، ويغلب ذاك هذا تارة أخرى ، وذلك يدل على أن كل واحد منهما مغلوب مقهور ، ولابد من غالب قهار لهما ، يكونان تحت تدبيره وقهره ، وهو الله سبحانه وتعالى ".[١] فصورة الحتمية الدينية قائمة فى غلبة كلا من الليل للنهار وغلبة كل من النهار لليل من غير أن يبقى أحدهما منتصراً على الدوام ، والآخر مهزوم على الدوام ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فإن بقاءها على تلك الصورة، ينتهى حتما إلى الإقرار بوجود الخالق العظيم الواحد القهار، بضميمة الآية المرشح لها قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ ﴾[٢].

ومظاهر هذا النوع من الحتمية بادى فى ثلاثة :

أحدهما : تكوير الليل على النهار . وتكوير النهار على الليل بصفة مستمرة يومية من غير انقطاع ولا تأخير . قال تعالى : ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [٣] فالفعل يغشى يشمل الليل والنهارمعاً " إذ لو كان أحدهما هو وحده المغشى لا الآخر ، لجاء التعبير القرآنى نصا فى ذلك لا يحتمل غيره ، وإذن فكل من الليل والنهار يطلب الآخر طلبا حثيثا بإذن الله لكى يغشاه ، ثم يكون ذلك على وجه التجدد المستمر ، كما تفيده صيغة المضارعة فى الفعلين [٤] مع الحالية فى الفعل الثانى " . [١] فالليل

---

(١) مفاتيح الغيب – المجلد (١٣) ج ٢٦ ص ٣٨٥ – ٣٨٦ .

(٢) سورة الرعد : آية ٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٥٤ .

(٤) فطلب كل منهما الآخر ليغشاه ، إنما يتم فى هدوء من غير عنف ، ولا قهر ، بدليل قوله تعالى يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

والنهار يتعاقبان بانتظام مستمر ، ويغشى كل واحد منهما الآخر .

" وهكذا دواليك فى كل ليل ونهار ، فكما يغطى النهار بالليل يغطى الليل بالنهار ، فيتغير كل واحد منهما بالآخر ، ويأتى بدله وهو كناية عن أن كلا من الليل والنهار يأتى عقب الآخر ، ويخلفه بلا فاصل ، فكانه يطلبه طلباً سريعاً - حثيثاً - لا يفتر عنه حتى يلحقه " . (٢) فتكوير الليل على النهار ، والنهار على الليل ، وطلب كل منها الآخر عمل منتظم مستمر ، إذن هو لازم حتما لا تخلف فيه .

ثانيهما : ما يتعلق بالحال التى عليها الليل والنهار فى التكوير وحركة الجرى ، لأن الحركة عمل ثابت مطرد ، فلا الليل سابق النهار ، ولا النهار سابق الليل ، قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣) فالليل والنهار يسبحان ولكل منهما فلك يدور فيه ، وهو فلك جو الأرض الذى يدور بحركتها اليومية حول محورها أمام الشمس .

" وليس هناك تعبير أروع ولا أدق من " السباحة " لدوران الأجرام السماوية فى الفضاء البسيط اللطيف " . (٤) فهى حركة ، مطردة ، ثابتة ،

---

(١) الزمخشرى

(٢) د / سليمان سليمان خميس . نحو عقيدة قرآنية ، ص (دار الطباعة المحمدية ج (١)) ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

(٣) سورة يس : الآية ٤٠ .

(٤) وحيد الدين خان . الإسلام يتحدى - ص ١٢٥ - ترجمة ظفر الإسلام خان - مراجعة د / عبد الصبور شاهين - المختار الإسلامى ج (٤) ١٩٧٣ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منتظمة ، مستمرة ، خاضعة للسنن الإلهية ، وقد أشار إليها علماء الفلك وقوانينها ، وهى المعروفة الآن باسم قوانين (كيبلر) وقانون الجاذبية لنيوتن على مايقول به أصحاب هذه المعارف ، أما عندنا نحن المسلمين فقوانينها قائمة فى أفعال الله تعالى . راجعة لقدرته وإرادته وعلمه وحكمته.

ثالثهما : مايقع فى الغاية التى ترتبط بنهاية الأجل لا نتيجته ، وهى المقصود بالأجل المسمى ، لأن النتيجة جاءت بها آيات قرآنية كثيرة ، من جعل الليل للسكن ، واللباس والهدوء والسكينة ، والنهار للسعى والحركة والنشاط . [١] وكذلك فى تعاقب الليل والنهار فوائد أخرى لسائر الكائنات منها ما يتعلق بالنبات ، وتكوين الثمر من حيث العقد والإنضاج . وعليه فتكوير الليل على النهار مستمر على نفس الانتظام والاطراد ، إلى الأجل المسمى ، وهو الوقت المعلوم عنده عز وجل لإنهاء هذا الكون الذى نعرفه.

وقد دل كل ذلك على حتمية قيام السلطان المتبادل بين معسكرى الليل والنهار ، والنور والظلمة ، إذ لا سلطان لأحدهما على الدوام ، إلا ويقابله سلطان للآخر مثله ، فانقطع الدوام ، وظهر الاطراد ، وبقيت الحتمية ، تعلن الإقرار بوجود رب البرية بجانب ماله من قدرة وعلم وإرادة ووحدانية . ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝ ﴾ [٢] . فالخلفة هنا هى الحتمية القائمة فى تعاقبهما

---

(١) قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ يونس : آية ٦٧ ، وكذلك قوله جل شأنه : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾ القصص : آية ٧٣ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٦٢ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

على وجه الانضباط ، وارتباط مصالح العباد بهما من الناحية المادية فـي معرفتهم ، أو الناحية الإدراكية في التدبر والتذكر ، ليعرف المرء العاقل حكمة الله وقدرته ، ثم يسارع في شكر المنعم على نعمه الجليلة

وبناء عليه تكون صورة الحتمية الشرعية قائمة في مظاهرها الفلكية على النحو الذي سلف ذكره .

٢ - حتمية التوالج :

إذا كان التكوير لكل من الليل والنهار يمثل حتمية دينية على ماسلف بيانه ، من خلال النصوص الشرعية ، فإن هذه المظاهر قد جاءت أيضا من خلال صيغ أخرى في مثل قوله جل شأنه : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ (١) .

قال الإمام الفخر الرازي : " المراد أنه تعالى يأتي بالليل عقب النهار فيلبس الدنيا ظلمة ، بعد أن كان فيها ضوء النهار ، ثم يأتي بالنهار عقب الليل ، فيلبس الدنيا ضوءه ، فكأن من إيلاج أحدهما في الآخر إيجاد كل واحد منهما عقب الآخر " . (٢)

فإذا كان النهار طويلاً ، نقص منه زيادة كانت هذه الزيادة في الليل ، وإذا كان الليل طويلاً ، وقع نقص منه فكانت الزيادة داخلة في النهار .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٢٧ . وقد وردت في العديد من الآيات القرآنية على هذه الصورة . ووردت في آيات أخرى بتقديم النهار على الليل .

(٢) وقد ذكر الإمام الفخر وجها آخر في المعنى ، هو أن يجعل الليل قصيرا ويجعل ذلك القدر الزائد داخلا في النهار تارة ، وتارة أخرى على العكس من ذلك ، وإنما فعل سبحانه وتعالى ذلك لأنه علق قوام العالم ونظامه بذلك الذي يمثل الحتمية الشرعية . المجلد الرابع ج (٧) ص ١٦٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبالتالى فمعنى التوالج هنا تبادل كل منهما الأخذ من الآخر والترك له بجانب تعاقبهما على الدوام ، طبقاً لما جرت به سنن الملك العلام .

كما دلت الآية على وجود علاقة بين تداخل الليل فى النهار ، وتداخل النهار فى الليل ، وبين تداخل المتصف بمظاهر الحياة ، من المتصف بمظاهر الموت ، وإخراج كل واحد منها حيث قال تعالى فى ذات الآية : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [١] . والمعنى : أن فى طول الليل ، وهو يأكل من النهار فى الشتاء ، وطول النهار وهو يسحب من الليل فى الصيف ، ومماثلة ذلك بالحياة والموت يدب أحدهما فى الآخر ، فى بطء وتدرج ، كل لحظة تمر على الحى يدب فيه الموت إلى جانب الحياة ، ويأكل منه الموت ، وتبنى فيه الحياة ، خلايا حية منه تموت وتذهب ، وخلايا جديدة فيه تنشأ وتعمل ، وهكذا دورة دائبة فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار ، تبرزها هذه الإشارة القرآنية القصيرة أمام العقل البشرى . [٢]

ثم ختم المولى عز وجل الآية بأروع مايكون البيان، وأدق مايكون التعبير حين قال جل شأنه: ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ففى ذلك إشارة لطيفة لمعنى الرزق ، وأنه كما يكون فى الأشياء المادية الظاهرة، يكون كذلك فى المدركات العقلية، من فهم وتوظيف، لما فقه من النص، وقد نبه إلى ذلك الرسول ﷺ يقول: " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين . . " [٣]

---

(١) سورة آل عمران : آية ٢٧ .

(٢) الشيخ سيد قطب - راجع فى ظلال القرآن . ج (٣) ص ١٧٠ .

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ج١٤ص ١١٤.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

العلاقة بين التكوير والتوالج :

الواضح أن الحتمية الشرعية جاءت فى آيات التكوير متعلقة بالهيئة التى يكون عليها كل من الليل والنهار ، بحيث يطلق على ذلك حتمية الفكرة . أما فى يولج الليل فى النهار ، فقد عبر عن حتمية المدة ، لأن كلاً منهما يأخذ من الآخر تارة ، ثم يعطيه تارة أخرى . . وهكذا لا يتوقف شأنهما أبداً . والفرق بين التعبير عن حتمية الفكرة وحتمية المدة أن كلا منهما تدل على حالة بذاتها وطبيعة قائمة بشأنها ، فلا الفكرة هى المدة ، ولا المدة تمثل الفكرة .

٣- حتمية التقليب :

عبر القرآن الكريم عن هذا المظهر من الحتمية ، من خلال تقليب الليل والنهار ، فلا حالة لأحدهما ثابتة ، وإنما هى أحوال متغيرة ، فالحتمية هنا إنما هى حتمية التغير والتقليب . قال تعالى : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [١] .

والتقليب هنا يأتى فى تعاقبهما من حيث مجىء أحدهما خلف الآخر ، فالليل ظلمة سوداء – وتلك حقيقته الحتمية – والنهار جوهرة ضياء – وهى حقيقته الحتمية على نحو ما جاءت به السنن الإلهية.

ثم يأتى أمر الله بتقليبهما فى أحوالهما ، بالطول والقصر ، فى البرد والحر وغيرهما وامتدادهما ، ووظائفهما بحيث يؤديان معاً غاية عظمى ، على طريقة الحتمية التكاملية التى تهدف لغاية عظمى ، وتعبر عن حكمة

---

(١) سورة النور : آية ٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالغة . كما تبرز صورة الحتمية الغالية فى كون ذلك تذكرة ، ودلالة وعبرة لذوى البصائر المستنيرة ، وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون حيث يتأملون ، فيجدون الماء والبرد ، والظلمة والنور ، تخرج من شىء واحد ، فسبحان القادر على كل شىء " . (١)

من ثم ظهر أن تقليب كل من الليل والنهار إنما هو من سنن الله ، ويتم لأمر تعقلى فى كثير من جوانبه ، تعبدى فيما خفى على العقل شأنه .

يقول الإمام الفخر الرازى : " فمن هذا الوجه يدل على أن الواجب على المرء أن يتدبر ، وأن يتفكر فى هذه الأمور ، ويدل أيضا على فساد التقليد " . (٢) لما فيه من ضلال وظلمة ، ومثل ظلمة ضلال الكفار . قال قتادة : " الكافر يتقلب فى خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة " . (٣)

❖ ❖ ❖

---

(١) الشيخ محمد على الصابونى - صفوة التفاسير- ج (٢) ص ٣١٤ .
(٢) الفخر الرازى - مفاتيح الغيب — المجلد ١ ج ٢٢ ص ٦١٢ .
(٣) صفوة التفاسير - ج ٢ ص ٣١٣ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

مظاهر الحتمية الشرعية فى الشمس والقمر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتمية الشمس والقمر :

وكذلك تبرز الحتمية الفلكية أيضا فى صورة واضحة إذا مانظرنا إلى ظاهرتى الشمس والقمر ، وجريان كل منهما فى فلكه والدور الذى يؤديه والغاية المرتبطة به . والفائدة المترتبة عليه فى صورة اطرادية على أساس أن ذلك من الأفعال الإلهية .

أولاً : حتمية الشمس :

الشمس إحدى نجوم السماء ، وشأنها شأن سائر النجوم من الحركة التى تصدر عنها ، ولكنها تتميز عن باقى النجوم بأن لها مجموعة من الكواكب التى تتبعها وتخضع لجاذبيتها ، فتجعل من حولها مدارات بيضاوية ، تدور فيها الكواكب التابعة لها ، وتنتقل تلك الكواكب مع الشمس خلال حركتها الذاتية .

" والمسافة بينها وبين الأرض تبلغ بالتقارب من ٩٣,٠٠٠,٠٠٠ ميلا (ثلاثة وتسعين مليون). وهذا البون الهائل ظل لا يتغير أبدا ، بزيادة أو نقص . . " [١] على الرغم من حركتها المستمرة، والتى عبر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [٢].

وتبدو الحتمية الشرعية واضحة فى هذه الآيه نلمحها من خلال عدة مظاهر منها :

١ - **حركة الشمس** : والتى عبر عنها القرآن الكريم بالفعل " تجر

---

(١) وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى . ص ٥٨ ت ظفر الدين خان - مراجعة د / الصبور شاهين ط: المختار الإسلامى ١٩٧٣ م .

(٢) سورة يس : الآية ٣٨ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وما يشير إليه من أن هذه الشمس ليست ثابتة ، أو واقفة فى مكان ما ، وإنما بل دلالة قطعية على أن للشمس حركة حقيقية لا يمكن التخلف عنها ، وهى تدور من خلالها فى هذا النظام الرائع .

والتعبير بالفعل تجرى جاء معبراً عن حركة الشمس الظاهرة والتى فهمها العربى القديم ، بأنها معبرة عن حركتها من المشرق إلى المغرب " وكان المظنون أنها ثابتة فى موضعها الذى تدور فيه ، ولكن عرف أخيراً أنها ليست مستقرة فى مكانها ، وإنما هى تجرى فعلا فى اتجاه واحد ، فى فضاء الكونى، الهائل بسرعة حسبها الفلكيون بإثنى عشر ميلاً فى الثانية ".(١)

وعليه فهذه الحتمية واقعة فى نطاق حركة الشمس ، التى عبر عنها القرآن الكريم بلفظ (تجرى) وأثبتها العلم الحديث بعد نحو اثنى عشر قرنا (٢) من عصر نزول القرآن ، لنتأمل مافيها من حكمة بالغة ، وحتمية مؤكدة على أنها تجرى جرياً ذاتياً .

يقول الدكتور / الغمراوى : " حكمة الله فى أن جعل جرى الشمس حقيقة فى الفضاء ، يتفق خبره إذا ذكر فى القرآن الكريم ، مع ما علم سبحانه أن ستبدو به الشمس لعباده ، نتيجة لما قدره للأرض من حركة يومية حول محورها ، وحركة سنوية حول الشمس ، ليكون التطابق بين الخبر والجرى الظاهرى فيه عبر وهدى للناس أثناء الحقبة المتطاولة التى علم الله سبحانه أن سوف تمر قبل أن يستطيع أولوا العلم الكشف عن جرى

---

(١) فى ظلال القرآن د . سيد قطب .

(٢) هذا الاكتشاف قد تم منذ أكثر من قرنين تقريبا ، حيث تم ذلك مع مطالع القرن التاسع عشر على يد العلماء الألمان ، ونقل ذلك عنهم ، وكانت هناك إشارات قرآنية قد تم الاستفادة منها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشمس الحقيقى ، حتى إذا كشفوه وحققوا صدق الخبر الكونى القرآنى حرفيا ، كان ذلك معجزة علمية كبرى ، فى القرآن ، تقنع كل ذى عقل لم يغلبه الهوى والعناد ، أن القرآن حقا من عند الله " . (١)

والملاحظ أن الحتمية هنا قد ارتبطت بأثار الحكمة الإلهية ، وبما يؤكد إثبات عقيدة الألوهية مع بيان دور الصفات الإلهية ، وذلك من شأنه التأكيد على سلامة العقيدة فى النفوس ، وتصحيح دورها فى العقول والقلوب " . (٢)

٢ - **طبيعة الحركة وكيفيتها** : بعدما رأينا أن حركة الشمس حتمية الوقوع ، نرى أنها حتمية الكيفية التى تتم عليها أيضاً ، فهى تسير بقدرة الله فى فلك لا تتجاوزه ولا تتخطاه ، فهى تجرى جريا اطراديا ، لا يمكنها التخلف عنه ، بالسرعة فتسبق ، ولا تقصر فى جريها فتتأخر ، وقد عبرت عن ذلك الآيات القرآنية فى قوله تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٣) .

قال الإمام الطبرى أى لا الشمس يصلح لها أدراك القمر فيذهب

---

(١) د / محمد أحمد الغمراوى - الإسلام فى عصر العلم ص ٢٤٣ .

(٢) اختلف العلماء فى قضية تعليل أفعال الله تعالى ، والواضح أن خلافهم يقوم عند المثبتين والنافين على إثبات الكمالات . راجع الموافقات للامام الشاطبى ج٢ ص ٧٢٦ - شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٥٦٧ - شفاء العليل ، ابن القيم ص ٣٤٩ : ٣٩٧ تحقيق سيد عمران طبعة دار الحديث . وعند النافين على إثبات التنزيهات - راجع الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم مجلد (٤) ج ٨ ص ٥٦٣ الأربعين فى أصول الدين الإمام الفخر الرازى .

(٣) سورة يس : آية ٤٠ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ضوءها نوره فتكون الأوقات كلها نهاراً لا ليل فيها ، ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضيائه فتكون الأوقات كلها ليلاً . [١] فالشمس تجرى فى اتجاه واحد فى الفضاء الكونى بسرعة قدرها العلماء بنحو اثنى عشر ميلا فى الثانية ، وهى حركة سريعة جدا ، ورغم سرعتها هذه لا تستطيع الشمس بلوغ القمر ، فهذا أمر حتمى .

وحتميته هنا تبدو متعلقة بمنافع عديدة ، منها مايخص نظام الكون واستقراره ، وما يخص الإنسان ومعاشه ، والنبات و تكوينه فجاءت الحتمية فى صورة استحالة سبق الشمس للقمر أو تأخيرها عنه ، أو جمعها معه إذ لكل منهما فلك يجرى فيه بطريقة متوازية تجعل من تقابلهما أمرا مستحيلاً . بدليل قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٢] .

فالدؤب فى اللغة يعنى : لزوم العمل بجد ، وعلى عادة مطردة دون فتور أو توان . [٣] وعليه فيكون المعنى أنهما(الشمس والقمر) جارين فى فلكهما لا يفتران .

يقول العلامة الزمخشرى : " جعل الشمس والقمر يدأبان فى سيرهما وإنارتها ، ودرئهما الظلمات ، وإصلاحهما مايصلحان من الأرض والأبدان والنبات " [٤] ولاشك أن سياق الآية يظهر الحتمية الفلكية فى دورة الشمس من خلال صياغة اللفظ .

---

(١) تفسير الطبرى ج ٢٣ ص ٦ .

(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٣ .

(٣) وقد عرف الليل والنهار والشمس والقمر بـ (الدائبان) وذلك لدؤبهما على العمل دون سأم أو انقطاع حتى صار هذا شأنهما وعاداتهما فى الفعل . راجع فى ذلك المعجم الوسيط ج ١ ص ٢٧٦ - مجمع اللغة العربية - الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

(٤) العلامة الزمخشرى- الكشاف عن حقائق غوام التنزيل- ج ٢ ص ٥٥٧- دار الريان بالقاهرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما أن الشمس مستقرة فى حركتها دائما ، من حيث المسافة بينها وبين الأرض ، رغم سرعتها الهائلة ، وحجمها الضخم ، وندرك أيضا أنها تتحرك ، بل وتجرى دون أن يمسكها أحد ، أو يسندها شىء ، ومع ذلك تحافظ على المسافة المقدرة بينها وبين الأرض ، وندرك أن ذلك بمثل حتمية أخرى ، نجدها فى طبيعة الحركة وكيفيتها ، وندرك أيضا أن فى ذلك عبرة وعظة لنا ، لأنه لو نقص مقدار المسافة ، واقتربت الشمس من الأرض بمقدار النصف مثلاً من الفاصل الحالى ، فسوف يحترق الورق الأخضر على القور من حرارتها ، ولو بعد هذا الفاصل ، فصار ضعف ماهو عليه الآن، فإن البرودة الشديدة التى تنجم عن هذا البعد سوف تقضى على الحياة فى الأرض . (١)

وعليه فحركة الشمس من هذه الناحية حتمية الوقوع ، حتمية الكيفية والاتجاه بما يؤكد أن كل شىء فى الكون إنما يجرى بأمر الله تعالى ، ويتم من خلال قدرته ، وهو محاط بعلمه تعالى ، قائم فى حكمته .

٣ – زمن الحركة ووقتها :

بعدما عرضنا لحركة الشمس وكيفيتها ، يبقى مظهر آخر من مظاهر الحتمية الفلكية فى صورة الشمس ، وهو جريان الشمس للمستقر المقدر جريا اطراديا ، لا يمكنها التخلف عنه ، فذلك تقدير العزيز العليم . والمقصود بالمستقر ، الزمن الذى تستقر فيه ، أو الوقت الذى تنتهى إليه ، وهو يوم القيامة حيث ينقطع الجريان ، ويتحقق المستقر .

قال ابن كثير : " وفى قوله تعالى : " لمستقر لها " قولان : أحدهما :

---

(١) وحيد الدين خان – الإسلام يتحدى – ص ٥٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن المراد مستقرها المكانى ، وهو تحت العرش مما يلى الأرض لحديث البخارى : أن النبى ﷺ - قال : (يا أبا ذر أتدرى أين تغرب الشمس ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش . . " . والثانى : أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة ، حيث يبطل سيرها ، وتسكن حركتها وتكور وينتهى هذا العالم إلى غايته " . (١)

ولا يعلم أحد غير الله عز وجل والزمن الذى قطعته الشمس من يوم جريانها إلى المستقر ، ولا متى تصل إليه فذلك تقدير العزيز العليم ، وفعله وهو بحر الأفعال الذى لا ساحل له . . ومن أفعاله تبارك وتعالى تقدير معرفة الشمس ، ومكان وزمان مستقرها . (٢) فأفعاله جل شأنه كلها حتمية الوقوع ، على نحو ما أراد لها وهو معنى الحتمية المرادة هنا لكن على لسان الشرع .

بقى أن نشير إلى مافى الآية الكريمة ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ من المعجزات والنبوءات ، يقول فى ذلك الدكتور الغمراوى : " آية من أربع كلمات تحوى فى كلمتين (والشمس تجرى) معجزه كبرى علمية ، وتحوى فى كلمتين أخريين (لمستقر لها) نبوءة (٣) مذهلة ستتحقق من غير

---

(١) تفسير ابن كثير مختصر ج٣ ص ١٦٢ .

(٢) الإمام أبى حامد الغزالى راجع جواهر القرآن - ص ٣١ ، شرح ومراجعة الشيخ خليل إبراهيم - دار الفكر اللبنانى ط ١ - ١٩٩٢ م .

(٣) لم تنقطع النبوءات الدالة على وجود الله وقدرته ، والمودعة فى كتابه العزيز وبخاصة فى جانب الآيات الكونية ، وخير مثال لها ما أخبر الحق عنها بقوله عز وجل فى سورة الأنبياء (ساريكم آياتى فلا تستعجلون) ففيها دليل على وجود آيات كونية وغيرها مازالت فى طى الغيب ، وأن الله سوف يكشف عنها فى مواقيت محددة ، فكلما وقعت حتمية ظهورها يسر الله للبشر أسباب الوصول إليها . فالحتمية هنا حتمية ظهور آيات من حين لآخر ، وحتمية زمن ظهورها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شك ، لأنها قرينة المعجزة العلمية ، [١] الصادرة عن فاطر الشمس سبحانه ، ثم تحوى فى الكلمات الأربع إعجازاً بلاغياً فى مراعاة مقتضى الحال إذ تحمل فى كل من شطريها تأويلا يتفق مع الظاهر للناس من حركة الشمس ، وحتى يهتدى بها الناس جميعا . من عرف سر هذه الحركة النسبية ومن لم يعرف – من عرف هذا السر اهتدى به وبالمعجزة العلمية التى حوتها الآية ، ومن لم يعرف اهتدى بموافقة الآية للحركة التى يرى " . [٢]

والحتمية الفلكية فى الشمس بادية هنا من خلال الآية الكريمة على مظاهر منها حركة الشمس ودورانها ، سواء أكان ذلك على المعنى القريب المتبادر للذهن من حركة الغروب والشروق ، أم كان من حركتها الذاتية التى كشف عنها الفلكيون ، وقدروها بأثنى عشر ميلاً فى الثانية .

وكذلك حتمية الاتجاه ، وطبيعة الحركة وكيفيتها ، وأخيراً حتمية السير إلى المستقر المقدر لها ، فكل ذلك إنما يتم من خلال سنن الله الكونية التى تمضى فى منظومة ثابتة مطردة ، تعبر عن حتمية مفروضة من قبل الله تعالى .

---

(١) المعجزة العلمية تمثل اكتشافاً علميا غير مسبوق ، وإذا تم التعرف عليها فإنها لا تكون معجزة لأنها غير خارقة للعادة ولا مدعيها نبى ، ويكون إطلاق اسم المعجزة عليها من باب التوسع فى الاستعمال اللغوى .

(٢) د . محمد أحمد الغمراوى – الإسلام فى عصر العلم ص ٢٣٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : حتمية القمر :

قال تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١)

وتظهر الحتمية الفلكية من خلال قوله تعالى : (قدرناه منازل) إذ لايمكن للقمر أن يخرج عنها ، بل هو محتوم بداخلها متحتم عليه أن يبدأها ثم يعود كالعزق النخل ، الذى خلا من ثماره كما كانت بداية طلحه ، فدق وانحنى ، واصفر فصار مثل عرجون قديم ، وهو قوله تعالى فى المشبه به كالعرجون القديم . (٢)

ثم إن مظهر هذه الحتمية هنا يعبر عنها اللفظ القرآنى وينقل إلى العين والحس من خلال الحركة الفلكية ، يقول العلامة البروسوى : " والقمر قدرناه ، وعينا منازل له ، هى ثمان وعشرون ، مقسومة على الإثنى عشرة برجا ، ينزل القمر فى كل ليلة فى واحدة من تلك المنازل لا يتخطاها ، ولا يتقاصر عنها ، فإذا كان فى آخر منزل له دق واستقوص ، ويستتر ليلتين ، إن كان الشهر ثلاثين ، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين ، حتى عاد القمر فى آخر الشهر إلى دقته واستقواصه واصفراره ، كالعرجون العتيق ، وهو عود العزق مابين شماريخه إلى منبته إلى النخلة " . (٣) فالحتمية الشرعية فى حركة القمر قائمة هنا من خلال وجوه ثلاثة :

---

(١) سورة يس : آية ٣٩ .

(٢) هو من الانعراج وهو الانعطاف ، والعرجون يطلق على عود عزق النخل ، الذى فيه عناقيد الرطب ، الذى يعوج ، وتقطع منه الشماريخ ، فيدق على النخل يابسا . راجع القاموس المحيط - الصحاح ج٣ ص ١١ - ١٢ .

(٣) العلامة اسماعيل صفى البروسوى - تنوير الأذهان من تفسير روح البيان — المجلد ٣ ص ٣١٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأول : حركة القمر فى أول منزل ينزل ، حيث يكون صغيراً دقيقاً مستقوساً مصفراً ، ولا يمكن للقمر أن يتغير هذا الحال معه مادام ذلك من سنن الله الكونية ، فإذا أراد الله أمرا غير ما تجرى به سننه على النحو الذى نشاهده تغير ماهو قائم إلى مايريد الله عز وجل .

الثانى : حركة القمر فى المنتصف ، حيث يعظم أمره ويعلو شأنه ، ويتحول من النحافة والنحول والاصفرار إلى الجمال والكمال والاستدارة .

الثالث : حركة القمر أثناء رحيله إلى ماكان عليه ، من قبل من الصغر والدقة والاستقواس ، والاصفرار كعرجون قديم .

وهى حتمية بارزة فى ظاهرة فلكية لا يختلف الباحثون العالمون بشأنها ، وإلا كانوا مخالفين لبدهيات العلم الذى إليه ينسبون . قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (١) .

فثبت بهذا أن مسألة الحتمية قائمة فى سنن الله تعالى ، من غير اعتبار لشىء آخر ، سوى قدرة الله تعالى ، وعلمه وإرادته ، وأن ما يتعلق بها ، إنما يجىء دليلاً متكرراً على وجود الله تعالى ، وإثبات سائر الكمالات له جل شأنه ، ويدرك ذلك كله أهل العرفان بالله رب العالمين لقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٣ .

(٢) سورة فصلت : الاية ٥٣ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع

مظاهر الحتمية المائية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(الحتمية المائية) [١]

تحدثت آيات القرآن الكريم عن حتمية الماء ، وبينت أنها تمضى على النحو الذى خلقها الله عليه ، بدءاً من احتفاظ الماء بخواصه الذاتية ، وكيفية تركيبه ، إلى كونه أصل الموجودات ومبدئها وعليه استمرارها ، ونلمح فى هذا النوع مظهراً جديداً من المظاهر المتعددة للحتمية الشرعية فى سنن الله الكونية .

فقد دلت الآيات القرآنية على أن حتمية وجود الحياة وارتباطها بالماء ، لايمكن أن ينفصلا باعتبارهما من سنن الله الكونية فما كان أصله من الماء تبقى عملية المحافظة عليه من خلال الماء ، وهذه الحتمية عبرت عنها الآيات القرآنية فى مثل قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٢].

وفى معنى الآية الشريفة يقول العلامة لزمخشرى : " خلقنا من الماء كل حيوان لفرط احتياجه إليه ، وحبه له ، وقلة صبره عنه " [٣] وفى هذا دليل حسى حيث أنه ظاهر بالمشاهدة ، وعقلى حيث يستطيع العقل البرهنة على ضرورة الماء ، وأهميته لكل كائن حى .

فكل شىء تكتب فيه الحياة صارت حتمية ارتباطه بالماء من حيث ، وجود الماء داخله ، أو كونه قائما عليه ، أو ناتجاً منه ، وكل شىء خلا من

---

(١) وردت مادة الكلمة فى القرآن الكلايم نحوا من تسع وخمسين مرة تقريبا . راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - باب الميم ص ٧٧٩ - ٧٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية (٣٠) .

(٣) العلامة الزمخشرى - تفسير الكشاف - ج (٢) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لما يصير حتماً إلى الجفاف ثم الهلاك .

وبناء عليه فكل شيء حي بسبب الماء ، فإن الحتمية بادية في ضرورة أن يكون وجوده منه ، وتلك الحقيقة أثبتها بل وأكد عليها العلماء من خلال تفسير آيات الذكر الحكيم ، وعلماء الطبيعة من حيث البحث والتجارب ، في أكثر من فرع من فروع العلم فقد " أثبت علم الخلية ، أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية ، وهي وحدة البناء في كل كل حي نباتا كان أو حيوانا .

وقد أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث جميع التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء ، فهو أما وسط ، أو عامل مساعد ، أو داخل في التفاعل أو ناتج عنه ، وأثبت علم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوفر له مظاهر الحياة ومقوماتها " . [1] وعليه فالحتمية الشرعية بادية هنا في إحدى السنن الكونية ، وهي أن ماكان من الماء فحتمي ارتباطه به على نحو ما ، كما أنه من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن جعل وجود الماء أمرا حتميا في كافة الأماكن ، وعلى صور مختلفة ، حتى وصفه أحد العلماء بأنه (عجلة التوازن العظيمة)[2] في الكون كله. وعليه فسوف أتناول الحتمية الماثلة من خلال مظاهر عدة ، عبرت عنها الآيات القرآنية بصور كثيرة ومتعددة وسيكون ذلك على النحو التالي :

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم هامش (٤٧٦) .
(٢) الأستاذ / وحيد الدين خان — الإسلام يتحدى (٥٦) ومابعدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - الصورة الأولى : (حتمية وجود العنصر المائى) :

وتظهر هذه الصورة فى قوله جل شأنه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [١] والمعنى هنا يشمل الماء بجميع أنواعه وخصائصه سواء أكان نابعا من الأرض أم نازلاً من السماء ، فهو سبب لوجود كل شىء . ويقصد بالشىء كل موجود فعلاً ، أو ما يخبر عنه ويتوقع وجوده ، أو ما يتصور وجوده ذهناً فقط [٢] .

فالحتمية هنا فى أنه لايوجد شىء متحقق فعلاً أو متوقع وجوده مستقبلاً أو ذهناً فقط إلا وأصله راجع إلى الماء .

وقد ختمت الآية بقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وكأنه يريد أن ينظر الإنسان إلى أصل تكوينه ، هو والأشياء جميعاً ، ليرى أن الماء داخل فى كل خلية من خلايا جسمه ، كما أنه داخل فى كل جزء من أجزاء غيره ، فكيف بعد هذا لا يؤمن بتوحيد الله سبحانه وتعالى .

وكأن الحتمية هنا صيغت فى صورة دليل حسى ، على وجود الله سبحانه وتعالى ، وتفرده بالخلق ، وأحقيته بالعبادة . وذلك من خلال متابعة سننه سبحانه وتعالى فى خلقه ، وكيف أن الماء الذى هو فى حقيقته " جوهر بسيط طباعه أن يكون بارداً رطباً مشفاً " [٣] هو أصل فى تكوين الأشياء جميعها ، فلا يعيش بدونه إنسان ولا حيوان ولا نبات .

---

(١) سورة الأنبياء : من الآية (٣٠) .

(٢) راجع فى هذا المعنى المعجم الوجيز مادة (الشين) (٣٥٦) .

(٣) الشيخ الرئيس أبو على ابن سينا تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ، الرسالة التاسعة فى الحدود : ص (٩١) ترجمة حنين ابن اسحاق (دار العرب للبستانى ط (٢) القاهرة).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالإنسان العادى مثلاً لا يمكنه أن يعيش بدون شرب الماء بضعة أيام فى حين أنه يستطيع أن يعيش على الماء فقط مدة شهر أو أكثر [١] ، كما أنه بدون الماء لايوجد نبات على سطح الأرض ، وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾ [٢] ، فبدون الماء لايوجد النبات الذى ينتج المادة الخضراء التى تنتج بدورها الحب ، وكل ذلك يتم من خلال عملية البناء الضوئى فيتكون الغذاء للإنسان والحيوان على السواء . [٣] وقد أكدت السنة النبوية الشريفة نفس المعنى فعن أبى هريرة ﷺ قال : " قلت يارسول الله - ﷺ - إنى إذا رأيتك طابت نفسى ، وقرت عينى ، أنبئنى عن أصل كل شىء ، قال كل شىء خلق من الماء " .

وفى هذا دلالة على أن الماء أصل لجميع المخلوقات ومادتها ، وأن جميع المخلوقات خلقت منه حتى الأرض والسماء .

وقد أيد العلم الحديث تلك الحقيقة الخالدة التى تحدثت عنها النصوص الدينية الصحية منذ آلاف السنين . فالعلم الحديث يعد الماء هو سائل الحياة الفريد باعتبار أنه " السائل الوحيد الذى يعتبره عالم الكيميا الأساس لعلم الكيمياء بحيث لا تتأتى أى دراسة كيميائية للسوائل إلا وكان الماء سيدها

---

(١) السيد / على فكرى راجع فى هذا المعنى - القرآن ينبوع العلوم والعرفان - ج (١) ص (١٣٦) طبعة ١ دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٣ م) .

(٢) سورة الأنعام الآية (٩٩) .

(٣) د / نظمى خليل أبو العطا موسى - راجع آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات ، ص (١٤٨) (دار الجميل ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

و أساسيا فيها ، ونفس السائل (الماء) يعتبره دارس الفيزياء تابعاً له بحيث يدرس خواصه الطبيعية ، ويعول عليه علماء الفيزياء فى الكثير من بحوثهم ، أما علماء الحياة (البيولوجيا) فالماء عندهم ركيزة كبرى فى حياة الكائنات الحية ، وعليه تتوقف جميع العمليات الحيوية فيها ، وعلماء الجغرافيا تقوم دراستهم للعالم على أن (٧٥% من سطح الأرض مغطى بالماء " (١) .

وقد فهمها علماؤنا الأجلاء منذ طالعوا النصوص القرآنية فنجد العلامة الفخر الرازى يشير إلى هذه الحتمية حيث يقول : " أن كل حى من إنسان وحيوان ونبات وشجر ، لابد أن يكون أمر حياته مرتبطا بالماء لأنه يصير ناميا به ، وتصير فيه الرطوبة والخصوبة والثمر " . (٢)

وبذلك يتضح مفهوم الحتمية إذا ما حاولت الوقوف عليه من خلال هذه الإشارة القرآنية الكريمة ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ بل يؤكد فى ذات الوقت على أن الماء سر الحياة ، وأن ما كانت حياته أصلها الماء فاستمرار الحياة فيه إنما يكون بذات الماء ، لأن الحتمية هنا جارية فى سنن الله الكونية ، ولا يمكن أن يستغنى الحى الذى أصله من الماء عن الماء ، مهما تباعدت المدة أو قلت صور الاحتياج .

فهى حتمية إرتباطية تقوم على احتياج الفرع وهو الحيوان ، والإنسان ، والنبات ، إلى الأصل وهو الماء ، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر ، ولا تكون صورة وجود أحدهما إلا مرتبطة بوجود الثانى

---

(١) د / نظمى خليل أبو العطا - آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات ص (١٨٧) .

(٢) الفخر الرازى - مفاتيح الغيب - مجلد (١١) ج (٢١) ص (١١٧) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الثانية : (حتمية الإنسلال البشرى) :

ذكرت آيات القرآن الكريم أن الله تعالى خلق آدم من طين فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝ ﴾ [١] وأنه تعالى خلق حواء من آدم فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [٢] . ثم جاءت عملية الإنسلال فى أفراد البشر من خلال الماء المنسل فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾ [٣] .

ومحل الشاهد أن بنى البشر جميعاً - بعد آدم وحواء - قد جاءوا من هذا الماء المنسل فى صورة من الصور المتدفقة فى قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ ﴾ [٤] .

والواضح أن عملية الحتمية فى الانسلال البشرى لم تتخلف على الإطلاق سوى مرة واحدة ، جاء منها نبى الله عيسى ابن مريم عليه السلام لأمر يعلمه الله . [٥] وربما يقال أن الحتمية هنا مادامت قد انخرمت بكون عيسى بغير أب ، وحواء من غير أم ، فأين هى الحتمية ؟

---

(١) سورة السجدة : آية ٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة السجدة : آية ٨ .

(٤) سورة الطارق : الآيات ٥ ، ٦ .

(٥) يذهب البعض إلى أن هذا الأمر يمكن تلمسه ، أو التعرف عليه من خلال المجهود العقلى مقارناً ، أو مسترشداً من النقل المنزل بحيث تكون القسمة العقلية مستوفاة لجوانبها الأربعة ، فآدم عليه السلام خلق بلا أب أو أم ، ثم حواء خلقت بلا أم ، ثم البشر جميعاً من أب وأم ، ثم عيسى عليه السلام خلق بلا أب . راجع فى هذا المعنى العلامة الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب مجلد (١٤) ج (٢٧) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجواب : أن الحتمية هنا عادية تجرى بها سنن الله الكونية فإذا انخرمت فهذا دليل على أنها ليست حتمية عقلية لايمكن تخلفها ولا حتمية رياضية تستلزم ضرورة أن يأتى السبب والمسبب ، أو الشرط والدال على سبيل الارتباط العقلى . (١) يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (٢) .

وصورة الحتمية قائمة أيضا فى أن الماء الذى يأتى منه الإنسان على سبيل الإتسلال (٣) له طبيعة متميزة عن غيره من أنواع الماء الأخرى ، لا بالكثافة واللطافة ، وإنما باعتبار الأصل والمترتب عليه . (٤)

فالحتمية هنا واضحة فى الأصل لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ . ﴾ كما هى واضحة فى الخواص ، باعتبار أن الإنسان يرث عن والديه أخص الصفات الشفرية داخل الـ (D n a) .

فصورة الحتمية واقعة فى كون هذا الماء الذى يأتى من الإنسان ينشىء عنه بفضل الله إنسان ، والذى مصدره الحيوان ، كالقرد ، والأرنب،

---

(١) وهذا يفتح الباب أمام الأفعال الإلهية حتى تؤدى عملها ، على الوجه الأكمل ، فيكون من ذلك المعجزات ، وخوارق العادات .

(٢) سورة الفرقان : آية ٥٤ .

(٣) يقول الفخر الرازى : أن الانسلال قائم فى السلالة ، ويقصد بها التى تنسل من ألطف أجزاء الطبع . راجع مفاتيح الغيب المجلد الرابع ج ٧ ص ٢٥٠ .

(٤) يذهب العلماء فى المجال البيولوجى إلى أن الماء الذى ينسل منه الإنسان لابد أن يكون فيه أزواج صبغية (y أو x) وعدد هذه الأزواج الصبغية فى الخلايا المتكاملة لايزيد عن ٤٦ كروسوم ، ويعنون به الزوج الصبغى ، بينما هو فى الحيوان ، كالفرس مثلا يساوى ٥٢ زوج صبغى . راجع د / محمد مصطفى الفولى ، بعض مظاهر التقدم فى العلوم البيولوجية ص (٧١ - ٧٢) (طبعة دار رشوان ١٩٧٤ م) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وراثى الذريات بأنى فرعه من نفس جنس أصله . وإذا حدث اختلال مرحلى ناتجة تدخل عوامل خارجية صناعية ، كالتى يقوم بها الإنسان فى حيوانات التجارب ، فإن مرجع ذلك يكون إلى هذا العبث ، لا إلى الحتمية المائية . كما أن سنن الله الكونية لم يصدر عنها بخصوص هذا الماء الإنسلالى تداخل ، ولا تباين ، وإنما هو التوافق النوعى الذى يجىء فى أمر جنسى ، راجع لخلق الله ووهبه ، فى قوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (١).

قد يقال إن الهندسة الوراثية فى المجال البيولوجى الإنجابى الإنسانى قد أحدثت طفرات نوعية ، نشأ عنها مايعرف باسم الجنس الثالث ، وبالتالى الحتمية ليست قائمة فى هذه المظاهر على أقل تقدير .

والجواب أن الخيال العلمى إذا لم يكن مضبطاً بقواعد شرعية فإنه يتحول إلى صورة من صور الجنون ، هذه ناحية ، والثانية هى إن هذا التساؤل مجرد فرض لم تثبت صحته بعد ، وفوق ذلك فإن الحتمية التى تحدث عنها إنما هى فى طبيعة الناتج لا فى نوعه ، فطبيعته أنه إنسان ، أما نوعه فليس أمراً حتمياً.(٢) فى نفس الوقت فإن هذه الحتمية المائية الإنسلالية ذات التباينات النوعية فى الإنسان ، تختلف عنها فى الحيوان ذى الأربع ،

---

(١) سورة الشورى : آية ٤٩ .

(٢) وقد أشار فقهاء الإسلام إلى هذا النوع الذى يطلق عليه اسم الجنس الثالث وهم يبحثونه من جوانب مختلفة تتعلق بها الأحكام الشرعية والتكاليف العملية ، كالميراث والدية وهكذا ، وأطلقوا عليه اسم الخنثى المشكل . راجع العلامة السيوطى – الأشباه والنظائر فى فروع فقه الشافعية ، حيث تناول هذه المسألة من جوانبها المختلفة ، وبتوسع شغل صفحات كثيرة من ذات الكتاب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك تختلف فى الطيور ، وتجرى فى كل نوع على قاعدة مطردة تؤكد أن الحتمية المائية وإن اختلفت مظاهرها إلا أن طبيعتها المائية لم تتغير .

يدل على هذا الاستقلال النوعى الحتمى ، قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [١] ، ومحل الشاهد أن الإنسان فى زوجيته - الذكر والأنثى - يستمر انسلاله من نفس نوعه ، باعتباره من الأشياء الموجودة فى قوله تعالى : ومن كل شىء كما أن الإنسان تلقى خليته الأولى من هذين الزوجين حيث يعطى الرجل الخلية التناسلية ، وتقدم الأم الخلية الجسدية ، ومن مجموعهما يتكون هذا الإنسان ، فالزوجية مسألة حتمية تجرى داخل إطار المائية المنسلة طبقا لسنن الله الكونية .

٣ - الصورة الثالثة : (حتمية التباين النوعى) :

نبهت آيات القرآن الكريم إلى أن الماء المستخدم فى رى الإنسان ، هو ماء له خواص محددة على سبيل الحتم ، فإذا وقع من غيره الرى لم تحصل به الفائدة ، وهذا الماء العذب الذلال [٢] يصلح لذات الغرض ، ولا يصلح غيره بديلاً عنه ، بدليل أن الإنسان إذا شرب الماء المالح - ولو مرغما - فلا يقع له به الرى ، ولا تتحقق معه المصلحة [٣] ولذلك نراه يعلن حاجته

---

(١) سورة الذاريات : آية ٤٩ .

(٢) ويأتى وصفه فى بعض آيات القرآن الكريم باسم (الفرات) فى مثل قوله تعالى فى سورة المرسلات : ﴿ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾ والمعنى ماء شديد العذوبة صاف من الكدر والشوائب ، وكلمة فرات تطلق على الماء فيقال ماء فرات ، وعلى النهر . فيقال نهر فرات. راجع المعجم الوسيط ج ٢ ص (٧٠٣) .

(٣) عمليات التحلية التى تقوم بها العقلية الإنسانية لتغير من طبيعة الماء المالح لا تمتد إلا إلى الصورة الأوانية فى بعض وظائفها ، ولكنها لا تغير من طبيعة الماء ومع هذا تكلف الدول التى تقوم بها نفقات عالية جداً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى الماء العذب ويسعى فى تحصيله ، مهما كانت التكلفة ، ومهما الفعل من أسباب ولكنه فى ذلك مهما بلغ من علم ، وأتى من تقنية حديثة سلح بها معاملة لم يصل إلى قدرة الله وآياته الحكيمة حيث أنشأ فى طبقات الهواء معملاً كونياً ربانياً ، خصص للتقطير ، واستخلاص الماء العذب الذلال من المحيطات المالحة ، عن طريق عملية التبخير التى يشترك فيها الهواء والرياح والسحاب والجبال ، كل له دور محدد يقوم به على أكمل وجه . ثم يعيد ذلك المعمل الكونى عملية التبخير والأمطار لتعود المياه العذبة إلى المحيطات ، بعد أن ينال الإنسان والحيوان والنباتات حظه من الارتواء . وتستمر تلك العملية بقدرة الله وحكمته وفضله إلى ماشاء الله حتى تظل الحتمية قائمة بين الماء العذب ، والملح الأجاج ، فبين الماءين التقاء وانفصال [١] وسبحان من قال : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ ﴾ [٢] . فتلك حتمية قائمة فى سنن الله الكونية .

بل إن هناك أحاديث تعلقت بماء زمزم ، مما يؤكد أن هذا الماء له خواص حتمية لاتوجد فى غيره ، وله وظائف طبيعية لا تخرج عنه من ذلك قوله ﷺ : " ماء زمزم لما شرب له ، فهو طعام طعم ، ورواه رى ، ودواء سقم ". [٣] وحيث إن الماء يتنوع بين العذب الفرات ، والملح الأجاج ، كما يتنوع بين الماء المهين ، والماء الحميم ، إلى غير ذلك من التنوعات التى

---

(١) أ/ على عبد العظيم - راجع فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم ص (٢٦١) بتصرف يسير .

(٢) سورة الرحمن : الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

(٣) ولذا حذر علماء الإسلام من امتهان ماء زمزم ، أو استعماله فى الاستنجاء وغيره ، لأن خواصه لاتكون إلا لما هو منصوص عليه فى الحديث ، بل ذهب الشافعية إلى أن الاستنجاء بماء زمزم لغرض الاستنجاء يورث صاحبه البرص .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشمل الأنهار [١] ، والآبار [٢] ، والبحار [٣] . فقد صار هذا الأمر من الأمور الحتمية ، التى لايمكن إنكارها ، ولا التخلى عنها . ومما يلفت الانتباه إلى بروز الحتمية المائية واستمرارها فى وضعها الثابت أن آيات القرآن الكريم ، حينما تتحدث عن نعيم الآخرة وتضرب الأمثلة ، ويجىء الحديث عن الأنهارفإن التصنيف لها يكون تصنيفاً امتدادياً ، بما يؤكد أن تصنيف الماء حتم لازم ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى . . . ﴾ [٤] .

ومن ثم فالحتمية المائية بارزة لم تنقطع مظاهرها ، وصور التعبير عنها فى الدنيا أو الآخرة ، ومن ثم قررت أن الحتمية الدينية قائمة فى آيات الله المائية فى أكثر من صوره .

---

(١) جمع نهر وهو مجرى الماء العذب ، وأجمل أنهار الدنيا أربعه هى : النيل ، والفرات وسيحون ، وجيحون ، وقديما قال الأعرابى الوله بمحبوبته :

فلو تفلت فى البحر والبحر مالح لصار ماء البحر من ريقها عذبا

(٢) سواء أكانت طبيعية أم صناعية ، وإن كانت الطبيعية ذات أثر فعال طويل المدى من حيث أنها تعبر عن نوع من الموائمة بين طبيعة الجو ، وحاجة الإنسان ، فتكون باردة فى الصيف ، دافئة فى الشتاء .

(٣) وهى التى تتمثل فيها المياه غير العذبة ، سواء أكانت هذه البحار إنكسارية كالبحر الأحمر مثلاً ، أو امتدادية كالبحر الأبيض المتوسط ، فإنها ذات طبيعة امتدادية على المحيطات المفتوحة التى تربطها بها روابط مازالت قائمة .

(٤) سورة محمد : الآية ١٥ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

٤- الصورة الرابعة : (حتمية حركية) :

ألمحت آيات القرآن الكريم إلى أن الحتمية المائية تجيء فى صورة أخرى غير ماعرضنا ، وهى حتمية الحركة ، وكيف أن حركة البحار لها مظهر خاص ، وهو مخالف لحركة الأنهار ، حيث أن طبيعة ماء البحار هى الإضطراب ومن ثم تأتى الحتمية فيها من خلال إبراز حركة الموج الأخذ فى المد والجزر ، أو المد والجنب ، حتى أنها تشبه الظلل حيث لا يرى الواقف تحتها شيئا سوى الموج قال تعالى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ... ﴾ (١) فالحتمية هنا قائمة فى اضطراب لا ينقطع مداً وجزراً ، وفى مرحلة هدوئه النسبى تكون الحركة الأصلية فى الحتمية قائمة ، وفى حالة عدم هدوئه تكون الحتمية مرتفعة على وجه ضرورى حتى قيل أن البحر إذا لم تكن له أمواج لم يكن بحرا . والشاهد أن حركة الماء فى البحر مضطربة ، لا تثبت على حال ، كما أنها آخذه فى التنامى والتدنى ، ولم يقع تغير فيها منذ خلقها الله تعالى .

كما أن ماء الأنهار يمشى مطرداً من غير أن يحدث فيه اضطراب ، ولا انعكاس أو تردد ، فمنبعه يرسل ، ومصبه يشتمل ، وهذه مسألة حتمية يدل عليها قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ (٢) . وقوله تعالى فى وصف حال الناجين يوم القيامة كيف أنهم فى جنات ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (٣) .

والحتمية هنا بارزه فى أن ماء النهر يجرى لجهة واحدة ، ولا ينعكس أبداً ناحية المصدر ، ولو انعكس لما كان له جريان إطرادى . ومعنى جرى الماء -

---

(١) سورة لقمان : الآية ٣٢ .
(٢) سورة الأنعام : من الآية ٦ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما تدل عليه المصادر العربية - أنه اندفاع فى انحدار ، واستواء أو مرور سريع فى تتابع [١] . وكما أن حركة مياه النهر لم يعبر عنها القرآن الكريم إلا بالجرى ، فدل الأمر على أن صورة الحتمية قائمة فى جريان الأنهار على سبيل الاطراد الفيزيائى، وقائمة أيضا على اضطراب البحار على سبيل الحتمية الفيزيائية أيضا.[٢]

كما أن تكوين الماء نفسه ، يعبر عن صورة من صور الحتمية الرياضية وفى ذلك يقول : وحيد الدين خان : " فى الكون سنن رياضية محكمة ، وبصورة تدعو إلى الدهشة ، والإكبار ، وحتى المادة الجامدة التى لا تملك شعوراً ، ولا يمكن أن تجرى على غير نظام ، وإنما هى تتبع قوانين صارمة معلومة ، ولفظ الماء أينما كان الماء على هذه الأرض الواسعة ، لن يكون معناه سوى مادة سائلة تحتوى على ١١,١% من الهيدروجين و ٨٨,٩% من الأوكسجين .

ولذلك يستطيع أى عالم يجرى عملية تسخين الماء فى معمله أن يقول بكل قطعية : أن درجة حرارة غليان الماء هى (١٠٠) دون أن يرى مقياس الحرارة" . [٣] وما ذلك إلا أن الأمر يدور فى صور حتمية رياضية ، مما ساعد الإنسان على أن يكون له أسس ثابتة يقيم عليها كشوفه وأبحاثه . وهكذا فصور الحتمية المائية لا تنقطع فى سنن الله الكونية ، كما أنها وثيقة الصلة بجميع مناحى الحياة وسوف نتناول نوعا آخر من الحتمية مرتبطا بالماء وهى الحتمية النباتية . فالماء أصل ، وسبب الإنبات ، وعلى النبات تقوم حياة الإنسان والحيوان .

---

(١) راجع المعجم الوسيط ج (١) مادة : ج ر ا ص (١٢٤) .

(٢) يحاول البعض تفسير ظاهرتى المد والجزر فى البحار من خلال ربط ذلك بحركة القمر ، وهى اتجاهات تقع فى أغلبها على التخمين أو التنبؤ إذ لا توجد قائمة علمية - حسب معرفتى بها - وإنما مرد ذلك إلى التنبؤ العلمى وهو أمر يحسب لأصحابه لكن لابد أن يقوم عليه حقائق علمية .

(٣) وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى - (٦٢) .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

مظاهر الحتمية النباتية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(الحتمية النباتية)

دلت آيات قرآنية كثيرة على سريان الحتمية الدينية فى الكائنات النباتية من خلال عمليتى النبات والإنبات أو الاستنبات . (١) إذ دلت على أن الحتمية تأتى فى الصورة التى تكون عليها الأرض قبل الإنبات ، فقال جل شأنه : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ (٢) ، وكذلك الصورة التى تكون عليها الحبة أو النواه التى تتم عليها عملية الاستنبات بواسطة الماء ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ ثم ختم الآية الكريمة بالدليل القاطع ، على أن من قام بهذه العملية ، هو الله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

ظهور الحتمية الترابطية :

فالحتمية ظاهرة من خلال العلاقة الربطية ، حيث تكون الأرض يابسة خالية من النبات والخضرة ، خالية من الحركة ، فإذا وقع عليها الماء اهتزت وربت ، حيث تحركت بالنبات ، وانتفخت . يقول العلامة الفخر الرازى : " الاهتزاز هو الحركة على سرر ، فلا يكاد يقال اهتز فلان لكذا ،

---

(١) الإنبات هو فعل الله المباشر ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴾ النبا (١٤) . وقوله تعالى : ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴾ (عبس : الآيات من ٢٧ : ٣٠ .أما الاستنبات فهو مايتعلق بعمليات تداخلية يقوم بها الإنسان ، كالحال مع الهندسة الوراثية ، أو مايطلق عليه التهجين النباتى . والنبات فهو ظهور الحبة فى وضعها الأصلى ، من غير تدخل فاعل سببى .

(٢) سورة الحج من الآية ٥ .

(٣) سورة الحج : آية ٦ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

إلا إذا كان الأمر من المحاسن والمنافع " . [١] فحتمية نزول الماء مرتبطة باهتزاز الأرض وحركتها ثم ارتفاعها عن وضعها الثابت الساكن . وتلك حقيقة علمية ، أثبتها العلم الحديث ، بل هى إعجاز علمى يؤكد أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن سيدنا محمدا رسول الله بعثه الله بالهداية للبشر فى الدنيا ، والنجاة لهم فى الأخرة.

فالعلم الحديث أكد بل أثبت على ناحية تجريبيه أنه " علمياً توجد أرض حية ، وارض ميته ، وان الماء هو أهم العوامل فى حياة الأرض " [٢] فبمجرد نزول الماء على الأرض تدب فيها الحياة بإذن الله ، حيث قال جل شأنه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ ﴾ [٣] . ودليل الحياة التى دبت فى الأرض بعد نزول المطر عليها هو حركتها بعد سكونها ، وزيادتها على أصلها ، ثم انتفاخها ، وتباعد أجزائها عن بعضها البعض ثم ظهور النبات فى صورته المبهجة . وكل ذلك يمثل مظاهر حتمية فى السنن الكونية ، دلت عليها النصوص القرآنية ، حيث قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ [٤] .

وأكدها العلم الحديث ، حين أعطى صورة للأرض ، قبل نزول الماء، وهى هامدة خاشعة منتظرة سقوط المطر . ثم صورتها بعد نزول المطر

---

(١) مفاتيح الغيب – المجلد (١) الجزء (٢١) ص ٢٣٨ .
(٢) د / نظمى خليل – آيات معجزات من القرآن الكريم ، وعالم النبات ، ص ٣١ .
(٣) سورة النحل : آية ٦٥ .
(٤) سورة فصلت : الآية (٣٩) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها ، وحتى خروج النبات . وما يطرأ على كل حالة من الخصائص الفيزيائية والكيميائية ، ليؤكد أن " النتيجة النهائية للعمليات السابقة (نزول المطر ، وخروج النبات) هو اهتزاز التربة وتحركها " . (١)

إذن فحتمية نزول الماء على الأرض مرتبطه بحتمية إحياء الأرض ، ومظاهر الحياة هى الحركة السريعة أو الشديدة التى عبر عنها القرآن الكريم بلفظ الاهتزاز ، ثم الزيادة أو الانتفاخ ، والتى عبر عنها القرآن الكريم بلفظ (وربت) وهنا أيضا صورة من صور الحتمية الارتباطية بين نزول المطر ، ثم حركة الأرض ، ثم الزيادة والنمو ، وفى ذلك دليل على أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل ، وأنه سيظل معجزا إلى ماشاء الله حيث عبر عن الترتيب الطبيعى للحقيقة العلمية ، وهى أن الحركة سابقة عن النمو والزيادة فقال : اهتزت وربت ، ولم يقل ربت واهتزت ، فى وقت لم يكن يعلم أحد ممن نزل عليهم القرآن تلك الحقيقة العلمية .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢) وهذه صورة من صور الحتمية القائمة على سبيل الاطراد ، لأن سنة الله قد اقتضت أن يتم ذلك على وجه التمام .

كما أننا نلمح هنا "الدليل الحسى والعقلى على قدرة الخالق العظيم، كما يقوم الدليل الوجدانى على بره بالإنسان، ورعايته له وعطفه عليه فى كل آن "(٣)

---

(١) د / نظمى خليل أبو العطا موسى آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات ٣٥ . وقد عرض المؤلف عرضا جيداً لحالة الأرض قبل وبعد نزول المطر وظهور النبات بطريقة واضحة من ص ٢٦ : ٣٧ .

(٢) سورة القمر : الآية ١٧ .

(٣) أ / على عبد العظيم - فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم - ص ٢٦١ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ليس هذا فقط ، بل نستطيع القول بأن هذه المظاهر التى جاءت عليها الحتمية الدينية هنا ، تتعلق بعملية استخراج النبات الحى من الأرض الهامدة الجامدة ، على سبيل القضاء المحكم ، والفرض اللازم ، وهذا فى حد ذاته دليل على حتمية وجدانية - إن صح التعبير - قائمة فى طاعة الأرض لأمر الله تعالى من غير تردد ، أو توان بما يؤكد ترابط هذه العلاقة الحتمية بين الخالق العظيم جل وعلا ، والمخلوق الذى يظن كثير من العقلاء أنه لا ينطق ولا يحس ولا يتحرك - وهى الأرض - مع أنها حساسة ، دراكة ، ناطقة واعية ، قائمة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (١) .

٢ - الحتمية الدينية الرابطة :

كما أن صورة الحتمية الدينية فى هذا المجال الإلهائى ، لا تتعلق فقط بوصف الأرض حين خشوعها ، وما يحدث عليها من تعديلات طارئة فى الصورة ، ولكنها تتعلق بحتمية الأداء أيضا ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢) .

يقول العلامة الفخر الرازى : " اعلم أن خشوع الأرض هو التذلل والتصاغر ، واستعير هذا اللفظ لحال الأرض عند خلوها من المطر ، والنبات ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ، فتحركت بالنبات وربت ، حيث انتفخت ، لأن النبت إذا اقترب أن يزهر ، ارتفعت له الأرض ، وانتفخت ،

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .
(٢) سورة فصلت : الآية ٣٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم تصدعت عن النبات " . [١] ومحل الشاهد أن الحتمية فى صورة الأرض قبل هبوط ، أو هطول الماء عليها تكون متذللة صاغرة ، هامدة ، جامدة ، وهذا أمر حتمى لا شىء وراءه ، وتلك الصورة واضحة المعالم ، ثم تأتى صورة أخرى للحتمية السارية فى سنن الله الكونية ، بادية من خلال الأرض التى نزل عليها الماء فانتفخت وظهر نباتها .

إذن انتفاخ الأرض ، وظهور النبات ، حتمى دنيى مرتبط بنزول الماء . ومما يؤكد هذه الحتمية الدينية أن الأرض ليست جميعها نوع واحد ، وإنما أنواع ثلاثة جاء بها الحديث الشريف فى قوله : " إن مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث نزل على أرض ، فكانت منها أجادب لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ومنها قيعان تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، ومنها أرض تمسك ماء وتنبت كلأ فيشرب منها ويأكل . . . فذلك مثل المؤمن " .

ومحل الشاهد أن الأرض التى تجرى فيها الحتمية الدينية على ناحية الإنبات ، إنما هى النوع الثالث ، مما ورد ذكره ، وضرب المثال به فى الحديث الشريف . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [٢] . يقول الإمام الفخر الرازى : " إن الله قال فتصبح الأرض مخضرة ، ولم يقل فأصبحت الأرض مخضرة لنكتة ، وهى إفادة بقاء أثر المطر زمانا ، بعد زمان كما نقول أنعم على فلان عام كذا ، فأروح واغدوا شاكراً له ، ولو قلت فرحت وغدوت ، فلم يقع ذلك الموقع ".[٣] كما أن فى بقاء الماء والخضرة مدة من الزمن

---

(١) العلامة الفخر الرازى مفاتيح الغيب – المجلد (١٣) ج ٢٦ ص ٦٤٤ .

(٢) سورة الحج : آية ٦٣ .

(٣) الإمام الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب المجلد ١١ ج ٢١ ص ٣١٧ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

لطف من الله بعباده ، لعلمه بحاجتهم إلى أرزاقهم والأقوات ، وشدة طلبهم لها ، وسعيهم من أجلها ، وسرعة قنوطهم من فقدها ، فهو اللطيف الخبير بالتدابير الحالية والمستقبلة .

وعليه فمظاهر الحتمية فى الآية الكريمة ، قائمة فى أنه متى أنزل الله المطر ، أو الماء على الأرض ، فقد تحتم ظهور لون الخضرة عن هذا النبات ، لأن الأرض إذا أصبحت مخضرة ، كان ذلك من أسباب العيش لجميع الكائنات التى تحى على الأرض .

وهذا يؤكد علاقة حتمية بين نزول الماء من السماء ، وخروج النبات من الأرض ، إحداهما تنزل ، والثانية تخرج . إحداهما يسقط منها ، والثانية يضاف إليها ، وبالتالى فصور الحتمية مترددة بينهما على نواح كثيرة ، ولا يمكن أبداً أن تكون واحدة منها هى التى تقوم بالأمرين فى وقت واحد لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝ ﴾ [1] . فتبين أن صورة الحتمية هنا مرتبطة بالمظاهر الدائمة ، التى لا يقع فيها استثناء ، وسيظل ذلك حالها إلى أن يشاء الله ، هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

وبناء على ماتقدم نستطيع القول بأن الحتمية النباتية ، بادية فى السنن الكونية من خلال صور عدة نذكر منها مايلى :

أولاً : صورة الأرض من كونها جامدة ، صماء ، هامدة ، لا حركة فيها ، خاشعة متذللة خاضعة ، تستعد لاستقبال فيوضات ربها .

ثانياً : نزول الماء على أرض بحاجة إليه ، حفية به ، تستقبله فتهتز

---

(١) سورة النبأ : الآيات ١٤ – ١٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فرحاً به ، وطرباً ، ثم ترتوى منه فتربو .

ثالثاً : خروج نبات من رحم الأرض ، مخضر اللون بهيج الشكل ، حسن المظهر ، فيه منافع عديدة للإنسان والأنعام .

والملاحظ أن هذه المظاهر الثلاثة ، تجرى فيها الحتمية بمعنى القضاء المبرم ، والفعل المحكم ، الذى لا يتخلف ، نظرا لارتباط ذلك بعلم العليم ، وقدرة القادر الكريم ، فإذا أراد أمراً آخر ، كان له شأن آخر داخلاً فى نطاق قوله تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١] فهو مالك كل شىء ، ومن حق المالك ، أن يتصرف فى ملكه كيفما يشاء ، وقت مايشاء .

٣ - الحتمية الخضرية :

وهناك صورة أخرى للحتمية وهى النباتية (الخضر) فدور الإنبات بعد نزول الماء ، لابد وأن ينتهى بالخضر ، والذى يمثل خروج الوريقات الخضراء من النبات ، لما له من أهمية كبرى ، بل هو دور أساسى فى انتظام الحياة على سطح الأرض " فلولا الخضر لما ثبت النبات ، ولا بعض الكائنات الحية الخضراء الطاقة الشمسية ، ولولا الخضر ما تكونت أى مادة غذائية على الأرض ، ولولا الخضر ماكان على الأرض نار ولا خشب ولا فحم ، ولا بترول ولا كهرباء ولا حياة " . [٢] ، فإذا كانت الشمس هى المصدر الأول للطاقة ، فالخضر هو المثبت الأصلى لتلك الطاقة ، منذ بداية الخلق وإلى ماشاء الله .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر الخضر فى الحياة ، ودوره الهام فى

---

(١) سورة الأنبياء :الآية ٢٣ .

(٢) د / نظمى خليل أبو العطا - آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات ص ٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لحفاظ على الطاقة ، فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١) . فالورقة الخضراء أعظم وأضخم مصنع للطاقة ، فى العالم ، فهى المثبتة للطاقة الشمسية على الأرض ، بما أودع الله فيها من خصائص حيوية ، فمن خلالها تحول الطاقة الضوئية إلى مواد غذائية ، وتحفظ نسبتا ثانى أكسيد الكربون والأوكسجين ثابتتين ، ومصلحتين للحياة على الأرض ، وتنقى الجو وتلطفه . (٢)

إذن فالحتمية هنا بارزة فى ارتباط النبات بالماء والأرض كعنصرين أساسيين ، لإحداث عملية الإنبات ، وإرتباط الجميع بالخضر على اعتباره مصدرا رئيسيا فى تنظيم حياة المخلوقات .

كما أن هنا إشارة لطيفة نبه بها الخالق العظيم جل شأنه إلى حقيقة البعث بعد الموت ، ومدى علاقة ذلك بعملية الإنبات ، ليتفكر أولوا الألباب ، إلى أن من قدر على خروج الحياة من الأرض الميتة ، كان من الأمور الحتمية بكمال قدرته على إعادة الحياة بعد الموت . قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٣) .

وكأن عملية الإنبات صارت دليلا حسيا مشاهدا على أمر غيبى غير مرئى، خاصة وأن عملية الإنبات تقوم علمياً على " أن جميع نماء الشجر ومادته وطاقته ، بعد خروج أول وريقتين خضراويتين من البذرة أو النواة ، إنما هو آت من مواد أولية ، هى نواتج تعفن الشجر بعد موته أو احتراقه ، أى من

---

(١) سورة يس : الآية ٨٠ .

(٢) د / نظمى خليل أبو العطا - لمعرفة المزيد عن دور الخضر فى الحفاظ على الطاقة راجع كتاب آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات ص ٣٨ - ٤٤ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ١١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مواد تشبه من كل الوجوه ذلك العظم الرميم ، الذى استبعد المنكر الجاحد أن يحييه الله مرة أخرى " . (١)

وتظهر الحتمية هنا فى أن المتتبع لكل الأمور الغيبية ، لابد أنه وجد لها مثالا من الأمور الظاهرة المشاهدة ، ليتخذ من المشاهد دليلا على الغائب عنه.

٤ - حتمية التباين النباتى :

دلت آيات القرآن الكريم على أن النباتات إنما هى مختلفة فى أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، وهذا الاختلاف حتمى حتى يقع التكامل الاستبقائى من ناحية الفائدة المترتبة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (٢) .

والمعنى أنه فى الأرض بقاع مختلفة ، رغم أنها متلاصقة أو قريبة ، بعضها من بعض ، تسقى بماء واحد ، ومع ذلك تجد أنواع الزروع مختلفة متباينة ، من حيث النوع ، والطعم ، والشكل ، والاستخدام أيضا . (٣) وبذلك نجد الآية الكريمة دلت على وجود تنوع نباتى ، يقع فى صورة الحتمية ، من خلال سنن الله الكونية ، بدليل أن الأنواع النباتية مازالت صورها هى هى ، فالنخيل نخيل ، والزيتون زيتون ، وكل يخرج من ثماره بفضل الله مما يثمر ، كما أن الأشجار الخسية والأخرى الدوائية ، مازال على طبيعتها النوعية ، فلم يتحول الصبر (٤) على تفاح ، ولم يخرج من الحنظل

---

(١) الإسلام فى عصر العلم (الكتاب الرابع) ص ٣٦٢ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٤ .

(٣) الشيخ محمد على الصابونى - راجع صفوة التفاسير ج٢ ص ٦٩ .

(٤) الصبر : شجرة بقلية عصارتها شديدة المرارة ، وقد استخدم الله هذا الاسم لتعبير عن فضيلة الصبر ، راجع المعجم الوجيز باب (صبّر) ص ٣٥٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه ، وهذا هو الحتمية بمفهومها الدينى ، حيث قضى الله أن يظل كل نوع منها محتفظاً بخواصه الأساسية ويؤدى وظائفه النفعية ،على صور ضرورية .

كذلك ظهرت الحتمية النباتية فى الحبوب ، والخضروات ، يستوى فى ذلك القوم ، والعدس ، والبصل ، بجانب الحب ، والعنب ، والقضب ، فإنها جميعاً مختلفة فى طبائعها ، متكاملة فى منافعها ، مما يؤكد استمرار الحتمية فى وظائفها ، ونصوصها الدينية . ومحل ظهور الحتمية إنما هو فى بقاء كل نوع منها على صورته حتى ولو اغيرت أحجام ثمرته [١] ، أو حدث تعديل طفرى فوق فائدته وغايته .

كما أن طبيعة هذه النباتات قد جرت معها الحتمية ، إلى منتهى الشوط وستظل قرينة لها نظراً لكونها من سنن الله الكونية ، بدليل أن الله تعالى يسر لباب تفهم هذه المواقف فى قوله جل شأنه : ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [٢] .

وهذا التباين نجده فى كل مايتعلق بعمليه الإنبات ، ومن تباين الثمر أيضا من حيث الشكل والطعم ، واللون ، والرائحة ، والفائدة أيضا .

❖ ❖ ❖

---

(١) لأن تغير حجم الثمرة قد تكون له أسباب كالتى تجرى فى عالم الاستنساخ النباتى حيث يلجأ الباحثون إلى إضافة هرمونات تنشيط لخلايا هذه النبات عن طريق التسميد الكيماوى أو غيره ، مما يقوم به بنو الإنسان فى تاريخ بحثهم العلمى ، لكنه لا يغير من حقائقها .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٤١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس

مظاهر حتمية المبدأ والمنتهى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مظاهر حتمية المبدأ والمنتهى

الإنسان مخلوق عاقل ، جعله الله موضع استخلافه فى الأرض وكلفه مهمة القيام بهذا الاستخلاف [١] على مايجب أن يكون ، وبين له أنه سبحانه أمده بالأنبياء [٢] والمرسلين [٣] ليوضحوا له طرائق معرفته بالله ، وكيفية عبادته له ليخبروه بوجود حقائق بعيدة عن إمكانياته ، كالموت ، والبرزخ ، والبعث ثم مايستتبع ذلك .

وقد فطن مفكرو الإسلام الأوائل إلى فوائد بعثة الرسل فاعتبروها ضمن مباحثهم الكلامية ، وصارت تدرس تحت عنوان وجه الحاجة إلى بعثة الرسل . [٤] كما تأتى فى بعض المؤلفات الأخرى تحت عنوان ، فوائد بعثة الرسل [٥] بما ينبىء عن عناية المفكرين المسلمين بهذه المباحث من الناحية الكلامية ، وما يترتب عليها باعتبار أن ذلك مما يؤثر فى العقيدة

---

(١) حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة الآية (٣٠) والخليفة : هو من يخلف غيره ، وينوب عنه ، وعليه فآدم مستخلف عن الله عز وجل فى إجراء الأحكام ، وتنفيذ الأوامر الربانية . راجع فى هذا المعنى صفوة التفاسير د / محمد على الصابونى ج (١) ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ البقرة : الآية ٢١٣ .

(٣) ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ الأنعام : الآية ٤٨ .

(٤) هذا ما يجرى فى المؤلفات الأشعرية كعنوان ، ومن يراجع شرح المقاصد للعلامة سعد التفتازانى يجد ذلك واضحاً .

(٥) هذه التسمية من اطلاقات الماتريدية المعاصرين ، كالعلامة الشيخ زاهد الكوثرى ، وأيضا تردد فى مؤلفات الشيخ مناع القطان ، الذى وضع كتابا بين فيه الفوائد حتى لكأن كتابه هو ذات العنوان .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الإيمانية إيجاباً بالنسبة للدارس .[١]

ولأن الإنسان هو الوحيد الذى وعده الله بالجنة ثواباً وتفضلاً ونعيماً ، ووعده بالنار عقاباً وعدلاً ، وتعذيباً ، فقد بين له أن هناك حتمية تقوم فيها أمور تتعلق بالمبدأ ، والمنتهى ، ولا يمكن الخروج له على هذه الحتمية ، لأنها مما جرى به قضاء الله وينفذه قدره .

ومن ثم فإن هذا الجانب يحتاج إلى فصل طرفيه من الناحية الدراسية على النحو الآتى :

الطرف الأول : حتمية المبدأ :

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ .[٢] وقال جل شأنه : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [٣] . وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠ ﴾[٤].

وموضع الاستشهاد أن هذه الآيات كلها متعلقة ببداية كل فرد من أفراد الجنس البشرى بنوعيه – الذكر والأنثى – بدليل أنه إذا تمت مرحلة

---

(١) لأن أجزاء العقيدة الإيمانية ستة هى أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وقد جاء بها الحديث الشريف من حديث جبريل ﷺ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) سورة الطارق : الآيات ٦ – ٧ .

(٤) سورة النحل : الآية ٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقبل الخروج إلى الدنيا ، فإن الأم تجبر على استنزال جنينها من رحمها ، ليكون طفلاً مهما حاولت الاحتفاظ به . (١)

فتبين من ذلك أن المبتدأ للإنسان أمر حتمى ، لايمكنه أن يتأخر فيه ، أو ينصرف عنه ، بل صار من المؤكد جريان هذه الحتمية عليه .

ولو طلب الناس جميعاً له تأجيلاً ماتمكنوا من ذلك ، بل جرت سنة الله فى خلقه ، أن يستعجل الناس استقبال هذا الوليد ، كما أنك تجدهم حريصين على وجوده كأمر حتمى ، مهما كانت صورة هذا الوجود . (٢)

الطرف الثانى : حتمية المنتهى :

لما كان المبتدأ من الأمور التى يهرع الناس ، لها فلم يضعه القرآن الكريم موضعاً أكثر مما هو له ، أما فيما يتعلق بالمنتهى الذى يمثل الفصل الختامى من رحلة الإنسان على ظهر الأرض وعودته إلى ربه حيث قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٣) فقد تحدث القرآن الكريم عن تلك القضية بلفظ الموت (٤) حيث به تنتهى كل علاقة للإنسان بالحياة الدنيا .

---

(١) بغض النظر عن حسابات الناس ، لأن التصوير فى الأرحام يشمل المدة التى يمكن أن يتاح للفرد استغراقها داخل رحم أمه ، فإذا انتهت تلك المدة خرج من رحم أمه رغما عنه وعنها

(٢) ولذلك كثرت عمليات الولادة التى أطلق عليها اسم الولادة قيصريه نظراً لأنها تمثل صورة قصرية ، مع أنها راجعة لمسألة حقيقية ، هى ابتداء هذا الإنسان رحلته على ظهر الأرض .

(٣) سورة النجم : الآية ٤٢ .

(٤) وردت مادة كلمة الموت فى القرآن الكريم نحوا من خمس وستين ومائة مرة بألفاظ شتى . راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ص ٧٧٤ – ٧٧٦ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

على اعتبار أن الموت من الأمور الحتمية فى السنن الكونية .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (١) . ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ (٢) .

وقد جاءت آيات كثيرة تتحدث عن الموت حديثا تفصيلياً باعتبار الاسم . كما تحدثت عن علاقة هذا الإنسان بالموت ، ورتبت ذلك ترتيباً حتمياً ، نظرا لقيام الصور الترتيبية على السور المنطقى الكلى ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ﴾ ٱلْمَوْتِ فهذا الحكم الكلى يتمثل فيه السور المنطقى الاستنباطى ، وتتمثل فيه النتيجة الاستقرائية أيضا . ثم تأتى الآية الأخرى لتبلغ هذا الإنسان أن الموت سيدركه حتماً ومهما بالغ من حيطته وحذره ، وتناول الأسباب ، ومهما حاول الفرار منه ، فنبه إلى أنه ملاقيه حتماً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٣) .

فالحتمية مقضى فيها فى الآيات السابقة ، بأن كل نفس ستموت ، وفى الآية التى معنا تأكيد على أن ذلك واقع ، بغض النظر عن الزمان ، والمكان ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .
(٢) سورة النساء : الآية ٧٨ .
(٣) سورة الجمعة : الآية ٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والملابسات ، وهى حتمية واضحة الدلالة ، ثم تجىء حتمية أخرى ، كأنها قمة للحتميات المتكررة ، فتصور أن المرء متى يهرب من الموت ، إلى طريق ، فإنه يجد الموت فى مواجهته ، كأن كل واحد منهما يسعى لوجه آخر ، حتى يلاقيه كفاحاً ، ولن ينفع مع ذلك كافة أنواع الحذر والحيطة ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

وقوله جل شأنه: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ .. ﴾(٢).

وسبحان من قضى وحكم بالموت، وساوى فيه بين أهل الأرض والسماء، فساوى بين الغنى والفقير ، والقوى والضعيف، والعزيز و الذليل، فكان الموت هو قدر للجميع، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٣).

ومن ثم كان بروز الحتمية فى المنتهى ، أكثر حتى يتمكن المرء من كبح جماح غرائزه ، والسيطرة على شهوات نفسه ، وتقليم أسباب الشقاوة ، والتقليل من ملامح التعاسة ، فكلما تاقت نفس المرء لشهواتها ردها عنها واعظ الموت ، فمن أراد واعظا فالموت يكفيه .

وإذا كانت الحتمية فى المنتهى تبدأ من الموت ، فإنها لا تنقضى به ، بدليل استمرار أثرها داخل القبر ، وهى مايطلق عليها الحياة البرزخية ، وهى تمثل البداية لمظاهر عديدة من مظاهر حتمية المنتهى وسوف أعرض لبعضها على النحو التالى :

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ١٦ .
(٢) سورة النساء : الاية ٧٨ .
(٣) سورة الواقعة : الآية ٦٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - حتمية برزخية : قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (١) . والبرزخ فى اللغة يطلق على الحاجز بين الشيئين (٢) ، ويأتى على صورتين هما :

١ - صورة بارزة ظاهرة : فيكون المعنى المقصود منه الحاجز الذى لا يسمح بالاختلاط بين الشيئين ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٣) ، وهذا من سنن الله الكونية ، وتجيئ بها الحتمية فى مظاهر دنيوية . ومن ذلك قوله : ﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (٤) . وهذه الصورة بادية ظاهرة فى الدنيا .

٢ - صورة مختفية مستورة : عن العيون لايدركها أحد من أصحاب العالم المشاهد إلا إدراكاً معرفياً ، أو قلبياً ، لوروده فى النصوص النقلية . وهى صورة أخروية نظر لتعلقها بما بعد الموت ، ويستدل عليها بقوله تعالى : ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ وهو هنا لا يخرج عن المعنى اللغوى أيضا ، لأنه يعنى هنا أنه الحاجز الذى يمنعهم عن الرجوع إلى الدنيا ، أو أنه يحول بينهم وبين الرجعة فيلبثون فيه إلى يوم القيامة ، فأصبح هو الحاجز بين الدنيا والآخرة . (٥)

---

(١) سورة المؤمنون : الآيتان ٩٩ - ١٠٠ .
(٢) راجع المعجم الوسيط ج١ ص ٥٠ .
(٣) سورة الرحمن : الآيتان ١٩ - ٢٠ .
(٤) سورة الفرقان : الآية ٥٣ .
(٥) د / محمد على الصابونى - راجع صفوة التفاسير ج٢ ص ٢٩٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحتمية ظاهرة فى كل من الصورتين ، ظهوراً لا يمكن لأحد إنكاره ، وهى دينية لكون المخبر بها نصوص الدين نفسه ، ويقع فيها – على سبيل الحتم – للعبد إما الثواب أو العقاب ، إما النعيم أو العذاب ، ويتمثل ذلك فى ظاهر الآيات القرآنية ، منها قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [١] . والشاهد أن الغدو والعشى ، إنما هى من أمور الدنيا ، وجاء التعبد بها حتى يتفهمها المكلفون المقيمون بدار الدنيا . وهذا التعبير فيه من الروعة والإعجاز مايدل على جمال النسق القرآنى ، والحكمة الربانية ، بل من الأدلة الحسية على الأمور الغيبية ، وكأن المعنى أن النار يحرقون بها صباحاً ومساءً .

وقد أشار المفسرون إلى أن المقصود بالنار هنا ، هى نار القبر ، وهو مايقصد به حياة البرزخ ، ويستدل على النعيم والعذاب فى البرزخ من خلال قوله ﷺ : " إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار " . [٢]

وبالتالى فالحتمية ظاهرة من خلال الطبيعة المنقسمة ، إما نعيم وإما عذاب ، ولا يوجد وجه ثالث ، بل إن الثالث المرفوع قائم هنا على سبيل الحتم ، من الناحية الدينية ، لا من الناحية العقلية ، لأن مايتعلق بأمور الآخرة لا يخضع للمقاييس العقلية الدنيوية .

ولما كانت صورة الحتمية البرزخية ، مما هو قائم فى الغيب فإن طريق التعرف عليها لايكون سوى النصوص النقلية فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة المطهرة .

---

(١) سورة غافر : آية ٤٦ .

(٢) سنن الترمذى ج ٤ ص ٦٣٩ ، الترغيب والترهيب كتاب التوبة والزهد ج٤ ص ١١٨ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ولذا جاءت أحاديث كثيرة موضوعها البرزخ وما يتعلق به ، ابتداء من حتمية القبر ، وسؤال القبر ، وأعنى به مايقوم به الملكان من سؤال الميت ، وإلقاء البشارة له ، أو إبلاغه بنتاج ماقدمت يداه من شر يترتب عليه العذاب الأليم .

مما سبق تبين أن البرزخ حقيقة دينية ، وحتمية شرعية ، ووجه بيان الحتمية :

ان قضاء الله قائم فى أن (كل نفس ذائقة الموت) . وقد بحث العلماء الذين لايؤمنون بهذه القضية كثيراً عن أسبابها ، حتى يتمكنوا من الحيلولة دون وقوع هذه الأسباب ، من أجل تخليد الحياة ، ولكنهم اخفقوا إخفاقاً ذريعاً ، وكلما بحثوا فى هذا الموضوع ، رجع إليهم بحثهم برسالة جديدة عن حتمية الموت ، وأنه لا مناص منه . [1] فالموت حتمى ، ولا يمكن أن يقع مايحول بينه وبين الوقوع فى أى عمر ، أو فى أى زمن . وأن هذه النفس التى ذاقت الموت حتماً يقع عليها الإقبار . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝ ﴾ [2] وأن من يقبر يمضى فى برزخه حتما حتى يأتى أمر الله . وهذا فى حد ذاته كاف لبيان أوجه الفساد التى يتعلل بها السطحيون ، الذين يتصورون أن الموت هو فصل الختام فى حياة الإنسان ، ويزعمون انه إذا انقضى أجله ، انقضى أمره ، فليمض حياته بما شاء ، إذ ليس بعدها حياة أخرى ، فكان هذا بمثابة بيان حتمى لوجود الحياة الأخرى ، ورد عملى تفند به شبهات هؤلاء السطحيين ، وتسقط به تعللات جميع المتنطعين الذين ألمح إلى جدالهم

---

(١) وحيد الدين خان - الإسلام يتحدى ، ص ٧٢ .

(٢) سورة عبس : الآية ٢١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذكر الحكيم ، فى آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١) . فالحياة البرزخية حقيقة شرعية ، وحتمية دينية ، ولا يجادل فيها من لديه مسكة من عقل ، أو ذرة من فهم ، أو قدرة على التأمل داخل النصوص الشرعية ، فيفهم منها مرادات رب البرية .

يقول العلامة ابن القيم أن الأرواح متفاوتة ، فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت ، فمنها أرواح أعلى عليين فى الملأ الأعلى ، وهم أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون فى منازلهم ، كما رآهم النبى ﷺ ليلة الإسراء (٢) ، ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت (٣) ، ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ، ومنهم من يكون محبوساً فى قبره ، ومنهم من يكون على مقربة باب الجنة .

لما روى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما : " الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة ، بكرة وعشياً " . ومنهم من يكون محبوساً فى الأرض لم تعلو روحه إلى الملأ الأعلى ، لأنها كانت روحا سفلية أرضية . ومنها أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى ، وارواح فى نهر الدم تسبح فيه ، وتلقم الحجارة ، فليس للأرواح

---

(١) سورة يس : الآية ٧٨ .

(٢) وقد تم ذلك له ﷺ أثناء الانتقال من الأرض إلى السماء ، وقد جاءت الأحاديث المتعلقة بالمعراج مفصلة هذا تفصيلاً دقيقا .

(٣) ويستدل على ذلك بما روى عن محمد بن عبد الله بن جحش ، أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ، فقال : يارسول الله ، مالى إن قتلت فى سبيل الله ؟ قال الجنة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سعد بها وشقيها مستقر واحد . (١)

ب - **حتمية البعث والنشر والحشر** : وهى المظهر الثانى من مظاهر حتمية الملتهى ، حيث جاءت بها الآيات القرآنية ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝ ﴾ (٢) . ولذلك عرف البعث بأنه " رد الله الأرواح إلى الأبدان ، فى قبورها ، حتى تكون مستعدة للنشر " (٣) . أما النشر فهو " إخراج الله الذين بعثوا من قبورهم " (٤) ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝ ﴾ (٥) .

وبعد ذلك يأتى الحشر ، وهو سوق الله الناس للحساب . ويستدل عليه بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ ﴾ (٦) . وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝ ﴾ (٧) .

فهذه العمليات الترتيبية من بعث إلى نشر إلى حشر ، تظهر فيها

---

(١) العلامة الحافظ بن القيم راجع الروح ص ١٤٨ - ١٤٩ تحقيق كمال على الجمل - مكتبة الإيمان بالمنصورة .

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ١٥ - ١٦ .

(٣) راجع فى هذا المعنى الإمام الفخر الرازى الأربعين فى أصول الدين ج٢ ص٦١ تحقيق الدكتور أحمد السقا طابعة الكليات الأزهرية .

(٤) راجع الدكتور عوض الله حجازى دراسات فى العقيدة الإسلامية ص ١٣٣ طابعة "١" دار الطباعة المحمدية ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

(٥) سورة القمر : الآية ٧ .

(٦) سورة البقرة : الآية ٢٠٣ .

(٧) سورة الأنعام : الآية ٣٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقدية الدينية باعتبار أصولها ، ومظاهرها بجانب طبائعها ولغاتها ، وكل المسلمين يعتقدون هذه الجوانب نظراً لورود النقل المنزل بها .

ومحل الشاهد فى هذه الأمور أن الله تعالى أخبر فى كتابه وعلى لسان رسوله وقوع هذه الجوانب الغيبية على صورها الترتيبية ، ومن ثم كانت عناية المتكلمين بها من الناحية التأثيرية تجىء تحت مايسمى المباحث السمعية ، ويقصد بها الأمور الشرعية التى لا دليل لإثباتها إلا النقل عن الصادق المعصوم ﷺ فى الكتاب والسنة .

ومن الواضح أن هذه الحتمية قد جاءت على أنها فعل من أفعال الله جرى بها قضاؤه الأزلى ، وبات تنفيذها معلقا بقدرته جل علاه ، ومن ثم أمكننى أن أطلق عليها اسم الحتمية الشرعية .

ج – حتمية النعيم فى الجنان ، أو العذاب فى النيران : وهى المظهر الثالث من المظاهر التى تمثل حتمية المنتهى ، وقد جاءت بها آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، مؤكدة على وقوع هذين الأمرين فى صورة حتمية ، يمكن التقاطها من سياق النصوص ذاتها بحيث يكون الترغيب ، والترهيب فى الدنيا ، أما الآخرة فإنها دار جزاء لا عمل فيها . ومن ثم فإن النعيم فيها حتمى لما ورد به من قضاء الله ، والعذاب فيها حتمى ، لما ورد بها أيضا من قضاء الله . وتبقى مسألة العفو والفضل تجرى فى أوسع نطاق ممن يملكها وهو الله سبحانه وتعالى .

فمثلاً آيات النعيم التى تحدثت عما سوف يستقبله أهل الجنان إنما هى من أنعم الله التى وقعت لأهل السعادة، لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[1].

---

(١) سورة هود : الآية ١٠٨ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وأما آيات العذاب التى تحدثت عما سوف يناله أهل الشقاء ، إنما هى من عدل الله ، لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (١) .

فهذه وتلك أحكام إلهية ، واردة على سبيل الحتم الشرعى ، لما جرت به سنن الله ، لا يخلف الله وعده .

لخلص مما سلف إلى أن الحتمية الدينية تجىء فى الدنيا ، وتجىء أيضا فى الأخرة ، وأن مايقع فى دار الدنيا يتنوع ، وأن مايجىء فى الآخرة هو الأخر متنوع . وأن ارتباط كل منهما بقضاء الله وقدره ، إنما هو ارتباط ثابت ، يمثل صورة الحتمية من الناحية الشرعية ، بل آمل أن تكون هناك دراسات مستقلة ، لتناول كل قسم منها على حدة ، وبيان علاقة الحتمية بالسنن الكونية .

بل يمكننى القول بأن النصوص الدينية هى التى فتحت الباب أمام الحتمية المنضبطة ، بشرع الله ، حيث تسمح بأن تتخلف الأسباب عن المسببات ، وأن تجرى بينها أحكام العادة لا أحكام العقل ، لأن العقل حينما يصدر حكما ، لا يحاول أن يفسح صدره ، بقبول الاستثناءات ، وهذا تحكم منه .

أما الحتمية الدينية فإنها تفتح للاستثناءات باباً واسعاً ، مرده الاحتكام إلى علم الله وقدرته .

كما أنبه إلى أن الحتمية الدينية أعطت الباحث المسلم والمفكر المنصف ثلاثة مظاهر حتمية ، كل مظهر منها يخالف الآخر فى كثير من النعوت بجانب التبعات .

فالحتمية الدنيوية مثلاً : أعطت المفكر المسلم فرصة التأمل فى علاقة المقدمات بالنتائج ، داخل نطاق العالم المشاهد ، مع أنها أفسحت الطريق أمام القضاء الإلهى ، والقدر أيضا .

---

(١) سورة هود : الآية ١٠٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحتمية البرزخية : وهى التى تتعلق بأمر الغيب ، وتمثل مرحلة وسطى بين المبدأ وهى دار الدنيا ، والمنتهى وهى الدار الأخرى ، حتى أن هذه المنطقة أوحت للكثيرين من مفكرى المسلمين - وبخاصة أصحاب الاتجاه الإشراقى - الحديث عن المثل المعلقة ، فأفاضوا فيها وقدموا صوراً متميزة بشأنها . (١)

أما الحتمية الأخروية : وهى التى تتعلق بالدار الأخره وما يجرى فيها ، وطريق الوقوف عليها هو النقل المعصوم ، وبناء عليه تكون الحتمية الدينية ذات امتياز فى جانبين ، لم تتطرق إليهما الحتمية العقلية ، وأعنى بهما حتمية الحياة البرزخية ، وحتمية الحياة الآخرة .

كما أن الحتمية الدينية عندما تناولت مايتعلق بالدار الدنيا كانت حديثا بسنن الله الكونية الاطرادية ، وكشفت أمام العقل الإنسانى هذه الجوانب كلها . حتى باتت واضحة أمامه ويمكن له أن يتأملها بدقة ، ويستفيد منها على الوجوه المختلفة .

ومن ثم فقد امتازت الحتمية الدينية بأنها تمثل صوراً استدلالية على وجود رب البرية ، وجوده ذاتاً ، وصفات ، وأفعالاً ، قضاءً وقدراً . كما وضحت علاقة الإنسان بما يصدر عنه من أفعال اختيارية ، وتحمله هذه المسؤلية فى صور استقرائية .

---

(١) ومن يراجع ماكتبه السهروردى فى كتابه " مجموعة مصنفات شيخ اشراق " يجد ذلك واضحا غاية الوضوح ، بما يكشف عن عقلية إسلامية ذات طابع استقلالى فى طريقه التناول بجانب العرض والمناقشة .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أهم النتائج البحثية

١ - وجود الحتمية بمادتها اللغوية فى النقل المنزل ، ووجودها كذلك فى لغة العرب على معنى الوجوب والقطع ، وهذا يفضى إلى القول بأن الحتمية على معنى من المعانى إنما هى صياغة إسلامية . (١)

٢ - أن الحتمية بالمفهوم الشرعى استوعبت كافة الظروف والملابسات ، التى يمكن أن تجئ فيها الحتمية الأخرى وأزادت عليها ، والعلاقة بينهما هى العموم والخصوص المطلق . (٢)

٣ - أن الحتمية الدينية حقيقة جاءت بها النصوص الشرعية وبالتالى أدلتها أدلة لا مطعن عليها ، بينما الحتميات الأخرى كالطبيعية والعقلية أدلتها احتمالية ، والاحتمالى لا ينهض فى مواجهة اليقينى أبدا .

٤ - أن الحتمية الدينية فيها إثبات الحقائق الدينية بالأدلة الشرعية ، ذلك من شأنه أن يدفع المرء إلى اكتساب الطاعات واجتناب المحرمات ، فيتحقق الخير للمجتمع الإنسانى ، لأنها تدخل فى روع المسلم أن الأسباب مخلوقة لله ، والعباد هم من خلق الله ، والأسباب لصالح العباد ، فتتحقق بذلك المنفعة .

٥ - أن الحتمية الدينية موضوعها يتمثل فى سنن الله الكونية ، وهى مدونة فى كتاب الكون المسطور ، وشواهدها قائمة فى كتاب الله المقروء ، وبالتالى فهى تجمع بين كتاب الله المنظور ، وهو الكون ، وكتاب الله المقروء وهو القرآن الكريم .

٦ - أن الحتمية الدينية عادية ، نظراً لقيامها فى سنن الله الكونية ،

---

(١) يترتب على هذا أن تكون الحتمية بالمعنى الشرعى سابقة فى وجودها على كافة أنواع الحتميات .

(٢) ومعناها أن الحتمية الشرعية عامة مطلقا ، لأنها تشمل الحتمية الطبيعية وغيرها ، والحتمية الطبيعية أخص مطلقا ، لأنها تدخل فى نطاق الحتمية الدينية من خلال الجانب الطبيعى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا يفتح الباب لإمكانية انتهاء هذا الكون ، بحيث يبدأ كون آخر .

ومن ثم يكون الإنسان العاقل دائما على موعد مع السفر للعالم الآخر ، وهذا من شأنه أن يجعل المرء متزوداً بزاد التقوى لقوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (١) .

٧ – إن الحتمية الشرعية تدخل فى نطاق العقيدة الإيمانية لأنها جزء إطارى تجرى معه أفعال الله وأحكامه ، وأوامره ونواهيه بينما هى فى الأفكار الطبيعية فكرة ، عمادها قبول الصواب والخطأ ، وبالتالى لا أمان لها ، ولا ضمان فيها .

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

نستطيع أن نبرز أهم النتائج من خلال ما توصلنا إليه إلى ما يأتى :

أولاً : أن الحتمية لفظ قرآنى ، وارد فى النصوص القرآنية ، منها قوله تعالى : ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [١] . وبالتالى فهذه الحتمية نقلية من حيث النص ، عقدية من حيث الوقوف عليها ، كفعل من أفعال الله تعالى ، كلامية باعتبارها مما يدخل فى نطاق الحكمة الإلهية .

ثانياً : أن هذه الحتمية مضبوطة فى كافة الأفعال الإلهية بناء على قاعدة سريان الحكمة ، ويستدل عليها بقوله تعالى : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [٢] .

ثالثاً : أن هذه الحتمية الشرعية قد تعددت مظاهرها ، كما تعددت النصوص الدالة عليها ، وهذا من شأنه إعطاء الباحث المسلم مساحة فكرية تبرز من خلالها ملكاته العقلية ، واتجاهاته الدينية ، وترسم منهجاً عملياً يتفق مع عقيدته الدينية .

رابعاً : أن هذه الحتمية جاءت فى عالم الفلك ، كما جاءت فى عالم الماء ، وفى نفس لوقت تعرضت للعالم الحيوانى ، والنباتى من النواحى المختلفة طبقا لما جاء فى النصوص النقلية .

خامساً : أنها تعرضت للمبدأ والمنتهى ، وبينت أن كل شئ له بداية فمن الحتم أن تكون له نهاية ، وهذا فى حد ذاته كفيل بإثبات أدلة جديدة

---

(١) سورة مريم : الآية ٧١ .
(٢) سورة النمل : الآية ٨٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على وجود الله تعالى ووحدانيته .

سادساً : أنها نقلت المفكر من المبدأ الأول ، إلى المبدأ الثانى وهو البعث حيث أكدت على انه حتمية شرعية ، ينال فيها كل من المحسن والمسيئ جزاءه ، وفى هذا إثبات للعقيدة الإلهية ، وتأكيد على أن اليوم الآخر حقيقة دينية .

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أهم المصادر

مرتبة حسب ورودها أسفل الصفحات

١ - القرآن الكريم .
٢ - مفاتيح الغيب - الإمام فخر الدين الرازى .
٣ - المنتخب فى تفسير القرآن الكريم لجنة القرآن والسنة .
٤ - صفوة التفاسير - الشيخ محمد على الصابونى .
٥ - تفسير البيضاوى - العلامة البيضاوى .
٦ - أساس البلاغة - العلامة الزمخشرى .
٧ - لسان العرب - العلامة ابن منظور .
٨ - معجم مقاييس اللغة - العلامة ابن فارس .
٩ - المصباح المنير - العلامة أحمد المقرى .
١٠ - ترتيب القاموس - الأستاذ الطاهر أحمد الزاوى .
١١ - المعجم الوجيز .
١٢ - شرح الكوكب المنير - العلامة الشيخ محمد بن أحمد الفتوحى .
١٣ - البحر المحيط - العلامة بدر الدين الزركشى .
١٤ - الإسلام فى عصر العلم - الدكتور / محمد أحمد الغمراوى .
١٥ - التعريفات - العلامة السيد الشريف .
١٦ - أصل الأنواع - دارون .
١٧ - نحو عقيدة قرآنية - الدكتور / سليمان سليمان خميس .
١٨ - الإسلام يتحدى - الأستاذ / وحيد الدين خان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٩ – فى ظلال القرآن – الأستاذ / سيد قطب .

٢٠ – الموافقات فى أصول الشريعة – الإمام أبو اسحاق الشاطبى .

٢١ – شفاء العليل – الإمام ابن القيم .

٢٢ – الأربعين فى أصول الدين – الإمام فخر الدين الرازى .

٢٣ – الكشاف – الإمام الزمخشرى .

٢٤ – القاموس المحيط – العلامة الفيروزابادى .

٢٥ – تنوير الأذهان – الشيخ إسماعيل حقى البروسوى .

٢٦ – تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات – الشيخ الرئيس ابن سينا .

٢٧ – آيات ومعجزات من القرآن وعلم النبات – نظمى خليل .

٢٨ – فلسفة المعرفة فى القرآن الكريم أ . د / على عبد العظيم .

٢٩ – الروح – العلامة ابن القيم .

٣٠ – دراسات فى العقيدة الإسلامية للأستاذ الدكتور / عوض الله حجازى.

❖ ❖ ❖

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner